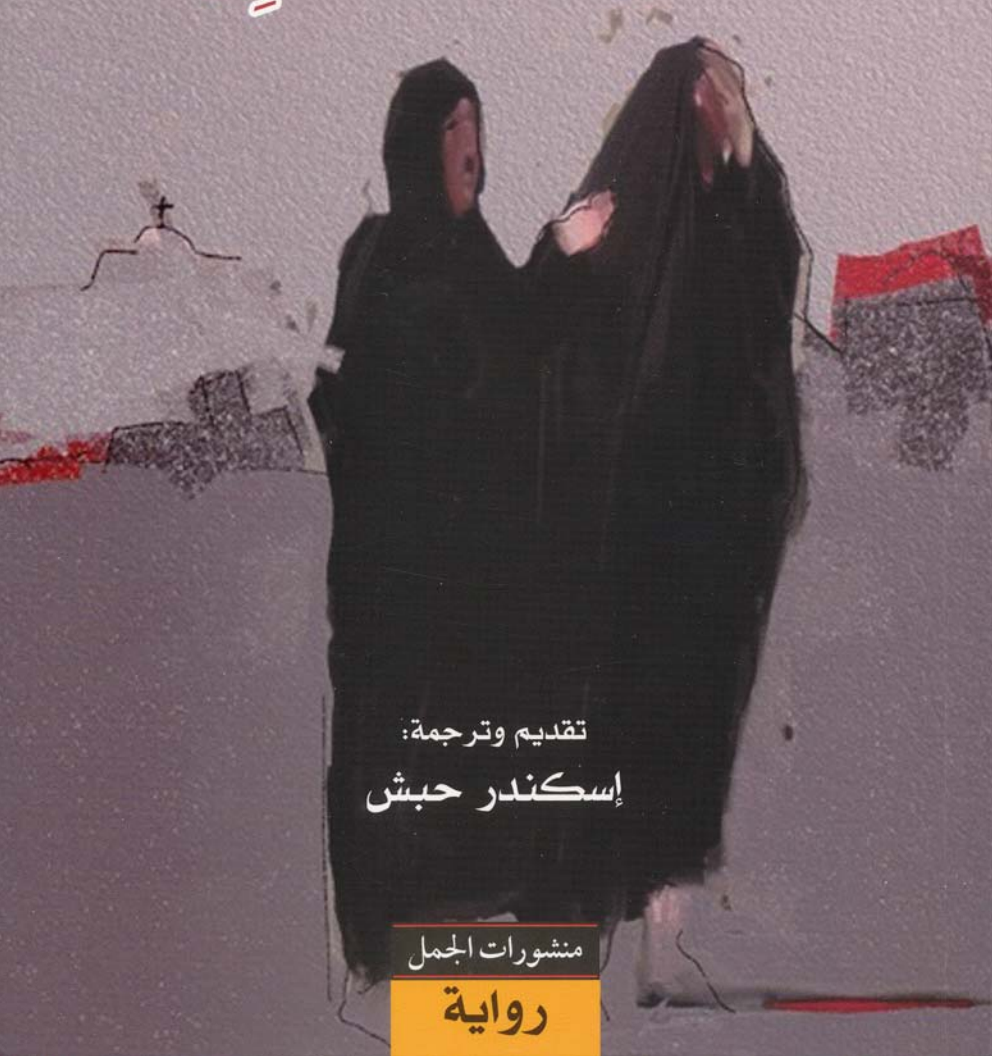
@ketab_n
23.12.2015

خورخي فولبي

# الحَديقة الخَرِبَة



تقديم وترجمة:
إسكندر حبش

منشورات الجمل

رواية

خورخي فولبي

# الحديقة الخَرِبَة

رواية

تقديم وترجمة:
إسكندر حبش

منشورات الجمل

Twitter: @ketab_n

خورخي فولبي: الحديقة الخَرِبَة

Twitter: @ketab_n

خورخي فولبي: الحديقة الخَرِبَة، تقديم وترجمة: إسكندر حبش
الطبعة الأولى ٢٠١٥
كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ـ بيروت ٢٠١٥
تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

**Jorge Volpi: El jardin devastado**
© Jorge Volpi, 2008

© *Al-Kamel Verlag 2015*
Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

*Twitter: @ketab_n*

يقولون ليلى بالعراق مريضة فما لك لا تضنى وأنت صديق
سقى الله مرضى بالعراق فإنني على كلّ مرضى بالعراق شفيق

**مجنون ليلى**



Twitter: @ketab_n

*Twitter: @ketab_n*

# مُفتتح

أكره أن أكون إنسانياً. أنسلّ بين الشراشف، العينان بالكاد مغمضتين ـ ليس ذلك إلا وهم الليل ـ لأعود وأجد خطيئتي الأولى. عزائي الوحيد، يكمن في أنني لم أُستنسخ أبداً، أو على الأقل، أظنّ ذلك.

أن أنهض معناه أن أشترك في الجرم. إلا أنني أستسلم لإلحاح البهيمة. أمدّ ساقيّ، أسحب نفسي وأقوم بما يتوجب عليّ أن أقوم به. أغلق على نفسي باب المرحاض. أتبول، إذاً أنا موجود.

لا يشكل الأمر عودة، أهمس إلى نفسي، وفمي دبق بلعاب زنخ. العودة، هي بمعنى آخر، أن أقول: الهرب. بلدي عصابة من الضباع والأشباح، بكل فخامتها وتقديسها للنسيان.

إلى الجانب الآخر من النافذة، نور الظهيرة.

أتساءل ـ لكن الله وحده يعلم ذلك ـ ما إن لم تكن شمس الشرق خائنة أكثر من هذه الشمس. ما إذا كانت المرأة الشابة قد تعرضت إلى ضربات الحراب. إن كانت اغتصبت سواد حزنها. إن



Twitter: @ketab_n

كانت لمست نهديها وبطنها. او إذا ما كانت سهرت عليها طيلة رحلتها.

شمس الشرق.

عاريا، الجسد أنحف من الصور، أترك مياه الصنبور تغسلني، تملأني بالرغبات ولكي أضيع، في إعصار على صورة الحياة، داخل شبكات الأقنية تحت الأرض.

أرى عينيّ المرأة الشابة اللوزيتين ـ السلام عليها ـ، عيناها إتقان نصف خبيء. كم من الكيلومترات بدون أي كلمة، كم من الخطوات، كم من أيام العطش والريح العاتية.

ظلها في الصحراء. آثارها التي تضيع.

وأنا أيضاً، مستسلما، أقع في الطمأنينة، لاعنا مجرى الساعات. أترك نفسي تسقط على القماشة الموسوية ـ وكملحد غاضب، أتساءل أين هو اتجاه مكة؟ ـ أصلي من أجلها.

يا مالك يوم الدين، أطالب بمساعدتك (على الرغم من أنك غير موجود). قدها على الصراط المستقيم، على درب الذين اخترتهم، الذين لن يُسقط غضبك عليهم.

يا سيد البسطاء، يا سيد المجانين، أرجو منك أن تحميها وأن تسهّل سبيلها.


Twitter: @ketab_n

# يوميات

البارحة، ستة وسبعون. اليوم، «الذي يشكل واحداً من أكثر الأيام عنفاً»، مئة وثمانية.

غدا، أحدس بذلك ـ على الرغم من أن الله وحده يعلم ذلك ـ اثنان وأربعين.

أو ستون.

أو خمسة وتسعون.

نستشف الأرقام ـ طمأنينة الحسابات ـ ونحن نبلع ملعقة من اللبن أو ونحن نسرنم.

بعيداً، بعيداً جداً.

ألف دولار من أجل خمسة عشر صفحة. تجريد. ملاحظات في أسفل الصفحة. فهرسة.

ماذا يعني ألم الآخرين.

ستكفي كلمة.

بعض الملاليم.



Twitter: @ketab_n

# مطرودون

نحن جميعاً، طُردنا من هنا.

مثل هذه المرأة الشابة.

مثل ليلى.



Twitter: @ketab_n

# عودة

كنت أظن نفسي حكيماً على الرغم من أنني لم أبلغ الثلاثين بعد. في خدر شهر تموز، تُذكر ذراعاي المرفوعتان بذراعي شخص رياضي. لكن ما من أحد يبتسم: تتحدى التعليمات طيران الأجراس المهيمن.

مرّة أخرى كنّا أسياد المكان، ولم نسامح أي اضطراب آخر. العديد من عقود الذلّ ـ أصداء عام ثمانية وستين ـ تهزّ الذاكرة.

خداع مثبط للهمة، عاق. عشية البارحة، أعلن كلب حراسة الحكومة «انهيار النظام» وانتصار شركائه الحتميّ.

تماما كما كلّ ست سنوت.

أعقب الأمر احتجاجات واتهمات. تركونا نفترس بعضنا من دون أن نتواجه: يعرفون من خلال التجربة أن أي عقاب كاد يودي بهم إلى التهلكة. لذلك فضلوا الإغواء، التهديد بالكلمات المبطنة وألعاب اللهو النارية. فرض التلفزيون صمته وانتهى الأمر بمرشحنا



Twitter: @ketab_n

بأن طالب بالهدوء (لكن ذلك لم يمنع أكثر من أربعة آلاف مناضل من أن يجدوا الموت).

في بداية العام ١٩٨٩ ، وبعد أن لفني القرف، قررت أن أرحل.

أمضيت أكثر من خمسة عشرة سنة منزويا في بحث الاختصاص اللامبالي: إيموري، كورنيل، هارفرد. هناك، هربت لفترة، مراكما النساء والإهمال، مجتراً انهيار عزيمتي في بعض المقالات، بعض الأوراق، في سبع كتب في التحليل السياسي.

وطني، لا توحي ضباعه وأشباحه إلا بالقرف.

بعد عدة سنوات، انهارت الأبراج وأصبح اليمبوس(*) ثكنة عسكرية. الخوف، الوشاية، البارانويا، طافت على السطح: كنّا مذنبون جميعاً، إلا إن ثبت العكس. من ثم دقت ساعة الانتقام.

اجتياح الشرق.

لهذا السبب عدت. حاملا غيظي. قرفي أيضاً.

العودة. كذبة أخرى.

(*) اليمبوس، مقام أرواح البررة قبل مجيء السيد المسيح.



Twitter: @ketab_n

# ليلى

يُروى ـ بالرغم من أن الله وحده هو العليم بما جرى ـ أنه، في الموصل، كان يعيش طبيب يُدعى كريم، منّ عليه الواهب بالغنى والدهاء.

الهبة الالهية وهبت أيضاً للدكتور كريم ثلاثة أطفال من ذوي النعمة والذكاء الملحوظ: وليد وبشير، صبيّان مطيعان وورعان، وفتاة، كانت ثانية البكر، ذات جمال خارق: ليلى.

كانت ليلى ابتسامة السماء.

شعرها ذهبي وفضي. دموعها، حين كانت تبكي، بمثابة مطر من لآلئ. صوتها نشيد عصفور. وشفتاها، حين تبتسم، زر ورد.

في التاسعة عشرة، أصبحت ليلى أمّا لطفلة مشرقة في شهرها الثاني، تدعى فاريزا، أنجبتها عبر أطهر أنواع الحب، من زوجها، صالح، المهندس الذي كان يعمل في حقول النفط في كركوك.

يُروى ـ بالرغم من أن الله وحده هو الشاهد على ذلك ـ بأن



Twitter: @ketab_n

الدكتور كريم كان يكافح كي يشفي مرضاه ويعزيهم، مهما كانت عليه أعراقهم وديانتهم وعاداتهم.

ما من أحد يمكن أن يؤكد بأن الدكتور كريم كان يتمتع بثقة عُدَي، ابن الكريه البكر ـ لتحلّ عليه اللعنة ـ الذي لم ينفك على دعوته إلى منزله، في كلّ مرة كان يظهر فيها في الموصل مع حاشيته الجلاوزة. كان كريم مكلفاً بعلاج الجروح التي كان يفتحها نزق عُدَي في أجساد عشيقاته.

لم يكن الدكتور كريم يتحدث مطلقاً عن زياراته الليلية إلى القصر وإذا ما أخذت عليه ليلى ـ هذه النجمة الساطعة في السماء ـ بأنه لم يذق الراحة، كان يصرّ أسنانه أو يهمهم.

حين اندلعت الحرب وظهر مقاتلو الشمال في الموصل، رأت ليلى والدها وزوجها المهندس في كركوك وفاريزا، طفلتها المشرقة ذات الشهرين، وهم يسقطون برصاص أحد رجال البشمركة على عتبة منزلهم (كان أخواها قد ذهبا إلى العاصمة).

فقدت ليلى القدرة على النطق، وربما عقلها أيضاً.

بعد أسبوع، غادرت الموصل بدورها برفقة جنيّ التقته على طريقها إلى بغداد ـ وفي صمتها ـ رحلت إلى بغداد سيراً على قدميها، وهي مصممة على إيجاد شقيقيها.

ليتمجد الرحمن، الرحيم الذي خلق الحرب والخراب والجنون.


Twitter: @ketab_n

# أبٌ

كان والد آنا رجل النظام، شخص متطفل على رجال السياسة المعروفين جداً بجشعهم وفسادهم، وكانوا أعضاء حكومة ومسؤولين وأمناء عامين: كلّ الأوباش القذرين الذين منذ نصف قرن يغتنون على حسابنا. وعلى الرغم من مسؤولياته والعائدات التي يجنيها من ذلك (وعليَّ الاعتراف بأنه لم يكن صديقا يتمتع بامتيازات) إلا أنه كان يشعر بالخجل من هؤلاء الأتباع الذين يبدون له قليلي النظر ودنيئين. بيد أنه لم يَشِ يوماً باحتيالاتهم ولم يتحدث يوماً عن أعمالهم، سوى في اعترافاته البعيدة عن كلّ آلة تسجيل.

كان يواكيم ساندوفال ـ وهو مثال تافه عن روحية الستينيات (على الأقل في بلدي) ـ لا يزال «هيبيا» منكش الشعر، بالرغم من قصره، يرتدي سروال جينز وصندلا ممزقا، وقمصانا ذات مربعات كما كان يكره ربطات العنق. التحق بمنظمة ح. ث. د. العفنة ـ الحزب الثوري الدستوري ـ وكان عضوا في لجنة اضراب ١٩٦٨



Twitter: @ketab_n

الوطني، رغب في أن يكون ثورياً: لكنه كان ماركسياً منذوراً لأن يصبح براغماتيا.

لم يكن يبتسم أبداً. بيد أنه كان يترك نفسه تنساب في قهقهات عالية وفي انتقادات لاذعة. مثله مثل كلّ الذين ينتمون إلى فصيلته، كان يتميز بفن السيطرة على عواطفه. في حياته الخاصة، كان يظهر نفسه قاسياً وعنيداً (ولحسن الحظ، كان يتنقل بدون توقف).

وما إن تتذكر آنا كم أن يده ثقيلة، حتى تبدأ بالبكاء: كم من مرة، جعلها تتأرجح من جراء ضرباته الكثيرة على رأسها ـ كانت بالنسبة إليه رأسا كبيراً وشخصاً عاقاً ـ ويحدث لها أحياناً، خلال نوبات سخطه، أن يوسعها ركلاً.

أقسمت آنا أن تكرهه.

كانت تحترمه.

لم يكن يواكيم ساندوفال جديراً لا بأن يمدّ أطراف حديث ولا بأن يطلب شيئاً بشكل مهذب، مثلما لم يكن يتمتع بأقل ذرة من العاطفة. أظهر كرمه بإرساله ابنته إلى مكسيكو ـ كانت قد نشأت في شيوداد فاليس ـ بعيداً عن مزاجه الذي يتعذر التحكم به.

لم يكن والدا آنا قد تزوجا بعد وكانا بالكاد قد عاشا لأشهر قليلة تحت السقف ذاته. كان عمر يواكيم ساندوفال يفوق عمر إستير رييس بمرتين، وهي التي شغفت بمُثُل هذا التيس الجسيم ـ


Twitter: @ketab_n

إذ كان عنده مُثُلٌ يومها ـ وبعنفه وبهشاشته الشبيهة بهشاشة طفل متكتم.

لكنه سرعان ما تركها من أجل النضال السياسي، إلا أنه لم يتوقف أبداً عن أن يكتب لها من مختلف المقاطعات التي يذهب إليها: أكاذيب ومشاريع عن المستقبل، جردات بأسماء نبات إكزوتيكي ووصفات أطباق محلية.

كانت استير رييس ويواكيم ساندوفال يتحابان بصوت خفيض طوعا أو كراهية. الدليل على ذلك: بعد ١٢ سنة من ميلاد آنا، وبينما كانا يعملان بعيداً عن بعضهما البعض مئات الكيلومترات ـ هي في شيوداد فاليس، وهو في أوكزاكا ـ انتهى بهما الأمر إلى الزواج.

حين ماتت إستير رييس ـ هذه الفتاة المشوهة القامة الماكرة ـ انفرد بنفسه للسهر على ذكراها. غادر صفوف الـ ح. ث. د. وأزاح لفترة مبادئه المدفونة.

بالنسبة إلى آنا، كان بمثابة حيط: ما زالت يداه تخيفانها. كانت تؤكد بأنه لطرد خوفها، عليها أن تخفي عتابها، لذلك ثملت للمرة الأولى وهي في العاشرة من عمرها.



Twitter: @ketab_n

# رمل

الحديقة تحت الرمل.



Twitter: @ketab_n

# قدمان حافيتان

كلّ ما كنت تعرفه لم يعد موجودا: الكلمات القديمة، الدخان، الأناشيد الأليمة كلها تطفو في الأجواء. خيط البرق الأزرق ـ هذا الملاك الضال ـ يزعزع الغيم، ويتمزق الأفق في هنيهات.

كان الطرق يزعق في رأس ليلى.

تشنج.

تشنج آخر.

وآخر.

كما لو كانوا ينزعون لك فكك، يضربونك على بطنك يسحقون لك وجنتك بضربة معصم: هكذا بدا كلّ انفجار في البعيد.

الطفل الذي ما زالت عليه يرغب في أن يجد الأمان، بيد أنه ما من مكان للالتجاء إليه: كثبان رمال، وأراض عارية. هل تنادين



Twitter: @ketab_n

النجدة، لكن من؟ الجثث؟ أم تستسلمين للغازي. لا أحد يسمعك. لا أحد سواك وسوى الجنّي الذي يرافقك.

بالنسبة إلى العدو، أنت مجرد رقم، ثمن فكرة، أما مواطنوك فيحذرون من امرأة تسافر وحدها وتتجاهل توصياتهم.

تسيرين حافية القدمين، يا ليلى، فوق أنقاض وطنك. هل من شيء ما يجمعنا معا؟

دربك في الليل.



Twitter: @ketab_n

# حاضر

إننا مبتذلون، متوقعون: نحن، أصدقاء وإخوة الزمن الآخر ـ المتآمرون ـ فعلنا من أنفسنا ما كنّا نكرهه يومها بشدة: بيروقراطيين واخصائيين. شتائم تفقد بسرعة كلّ جِدّة على شفاهنا.

يكفي أن نستمع إلى الكلمات التالية: «نضج»، «الواقع»، «المؤسسات»؛ حتى أن هناك واحدة تشير إلى: «الوطنية».

نظر نيكولا إليّ بطرفه ـ أشعل سيكارة جديدة ـ من دون أن يخفي رضاه بكونه مستشاراً صحافياً في بريطانيا العظمى. سخر خافييه ببرودة من منصبه في باريس بالإضافة إلى جانبه البائس. لم يأت فيكتور ليتمنى لي قدوماً سعيداً؛ لا تبدو نيّته أن يقوم بهذا الشرف للذي يسخر من قائمته للكتب الأكثر مبيعاً ومن وسائل التطوير الذاتي. أما بابلو، النحيل ـ الذي استغرق في تأملات الزن واحتفاليات الشاي والروحانيين البوذيين ـ فقد لفظ اسم فاسكونسيلوس(*) على أنه أحد مثله.

---

(*) خوسيه فاسكونسيلوس كالديرون (اوازاكا ١٨٨٢ ـ مكسيكو ١٩٥٩): مؤسس=



Twitter: @ketab_n

سيضنينا أولئك الذين كنّا عليهم.

إن السلطة، بخلاف ذلك، قال أحدنا.

من السهل جداً الانتقاد من دون اقيام بأي شيء، أعلن شخص آخر.

أنهي كأسي وأحاول أن أنسى تهكمنا ووقاحتنا. هل أرغب في تهدئة خواطرهم أم خاطري؟ ماذا أقول عن أنفسنا؟ هل نحن خونة يستمنون؟

قبل خمسة عشر سنة، كنّا نصرخ، كنّا نشعل ونحرق كلّ شيء. اليوم، نترك زجاجات البورغوني والتدرجات لتفسدنا: سنسامخ الحمقى.

نضحك، نحتفي بلقائنا مجددا. نهدهد أنفسنا بقصص ذاك الزمن الذي كنّا لا نزال فيه أحياء.

في النهاية، نتعانق.

---

=الجامعة المكسيكية المستقلة، كاتب وفيلسوف وسياسي، دافع عن فكرة التعليم العلماني، المدني والأميركي.


Twitter: @ketab_n

# أسماء

مسألة لا مفرّ منها.

بعد طلاقه ـ الذي بدا بمثابة كارثة ـ تزوج نيكولا من جديد وانتقل من عائلة إلى أخرى. أما بابلو فكان يدافع عن مهمته كأب وزوج لا غبار عليه. من جهته انغرم فيكتور وكأنه ثور بنساء كنّ يهدئن عواصفه. حتى خافييه، غير المستقر، المشاكس، قد أخلص للورا كي يبقى قريبا من أطفالهما.

وأنت؟

أنا، كما هي الحال دائما: اسم بعد آخر. أو بدون اسم على الإطلاق. يحسدني الآخرون. يرثون لحالي أيضاً.



Twitter: @ketab_n

# موسيقى

استغرقت ليلى وقتا طويلاً لتكتشف بأنها تملك أذناً مثالية. أعلن لها ذلك البروفسور علي بارتياح يشبه ارتياح شخص ربح ورقة اليانصيب. لقد وهبك، مقسم الأرزاق - ليتمجد اسمه - هبة أثمن من اللالئ أو المرجان.

ارتجفت ليلى.

كان صوت الناي المستعرض(*) بمثابة تحية مقدمة إلى والدها. لم يكن الدكتور كريم يكلّ من الاستماع إلى الأسطوانات التي كانت تأتيه، عن طريق المهربين، من لندن، حيث أكمل اختصاصه في الجراحة خلال السبعينيات. موتسارت وموسيقى الباروك. كان يأسرها هذا الولع الأبوي، على الرغم من أن الموسيقى الناعمة تجعلها تشعر بالنعاس.

لمّا بلغت الحادية عشرة، أحيت ليلى حفلها الأول (طريقة رنانة

---

(*) يسمى كذلك لإمساكه بالعرض عند الشفتين.



Twitter: @ketab_n

في الكلام) أمام تلاميذ مدرستها وأساتذتها. حصدت الكثير من التصفيق (لم تكن تستحقه برأيها).

أدخلها والدها في فرقة المدينة الأوركسترالية الغريبة، المؤلفة من عشرين أو من ثلاثين ولدا من الكرد والعرب وحتى التركمان، وكانوا يعزفون بشكل خاطئ كلّ مساء، ما يثير حزن البروفسور علي بشكل كبير. بالنسبة إلى هؤلاء الأولاد، كان الأمر بمثابة سخرة وفي أحسن الأحوال نوعاً من التسلية، وحدهما التوأمان، فؤاد وعباس، كانا يحلمان بصالات الأوبرا (يعزف أحدهم على الكلارينيت والثاني على الترومبيت).

حين علمت بأنها موهوبة، لم تعد ليلى هي نفسها. اكتشفت أن لكل نغمة اسم وبأنه يتوجب عليها أن تتلفظ بها. دو، سول، لا دييز: تنتشر الموسيقى في كلّ مكان، في المحركات، في المراوح، في الجداجد، في البكاء والعواصف. ربما كانت تفضل أن تطير أو أن تتكلم لغة العصافير، إلا أن موهبتها كانت السبب في افتخارها: حفظت دروسها، تعلمت حب السولفيج فأصبحت تمضي الساعات في فك رموز المدارج الموسيقية. صار موتسارت رفيقها.

موتسارت في العراق.

سمحت لها أذنها المثالية، في تلك اللحظة، بأن تتعرف إلى النوتات التي تطلقها البنادق، الطائرات الأسرع من الصوت والقنابل العنقودية.


Twitter: @ketab_n

# رغبة

نايي، سألها الجنّي.

أعيدي لي نايي.



Twitter: @ketab_n

# هنا

أتأمل السقف الأبيض، الزجاج القذر وأجدني في منزلي. أملك براداً، سريراً، شرشف سرير، القليل من الأواني. كميات من الكتب والأسطوانات مهملة كيفما اتفق فوق الرفوف.

اشتريت هذا المسكن منذ سبع سنوات ـ استثمار للشيخوخة ـ كي أمضي في مدينتي أعياد نهاية السنة و ـ مع القليل من الحظ السيء ـ جزءا من فصل الصيف. إنه «موطئ قدم»، كما يقول الفرنسيون: ولا مرة اعتقدت أنه بإمكانني البقاء فيه أكثر من أسبوعين.

كنت أرغب في أن أصبح بدويا، أن أتنقل بدون توقف، أن أعيش بعيداً عن كلّ شيء. في أتالانتا، إيثاكا، بوسطن، تكيفت مع الديكورات المختلفة ـ ولا بأس أبداً بصديق في إجازة سبعية(*) ـ كما انني استأجرت أيضاً شققا مفروشة. كراسي مكسورة، لوحات طبيعة صامتة، صور بحرية، صور الصلب أحياناً، صور زيجات أو

---

(*) إجازة لمدة عام تمنح للأستاذ الجامعي كلّ سبع سنوات.



Twitter: @ketab_n

حفل توزيع شهادات: كلّ واحدة من هذه الإشارات كانت تعيد تذكيري بوضعي كغريب.

لقد اخترت عدم الثبات.

ماذا أفعل إذاً في غرفتي الآن؟

أتيقن بأنني دخيل هنا أيضاً.



Twitter: @ketab_n

# بيت

بيت، كانت تشترط آنا، عند نهاية كلّ مشادة.

بيت، كم أنت أنانية، كنت أقول لها.



Twitter: @ketab_n

# فكرة

طُلب مني أن أكتب نصاً حول الإنسانية ـ هذا الوهم. بحث تاريخي ـ سياسي حول بؤسنا المشترك. طلب مني، أنا الذي لا أعرف ـ ولا أريد أن أعرف ـ جيراني. الأفراد الذين هم من نوعنا يولدون ويموتون وحدهم. ما من شيء يجمعنا، ولا نملك كصحبة أبدية إلا هذه الحقيقة.

لِم عليّ أن أرتجف أمام مصير شابة عراقية تائهة وسط الصحراء؟



Twitter: @ketab_n

# آنـــا

تعرفت بآنّا ـ بالأحرى كنت بالكاد رأيتها ـ بالضبط قبل زواجها من أحد أصدقائي، أو بشكل أدق، من صديق جديد لي. كانت تبدو مشرقة ومتحمسة. كنت أحتسي القهوة مع خطيبها حين وصلت كي تأخذه وتذهب للتسوق الذي يعتبر إحدى ترتيبات العشاق أو إحدى إزعاجاتهم. حيّتني ومضيا.

لم تكن مضت ثلاثة أشهر على زواجهما ـ الذي لم أدع إليه ـ حتى افترقت آنا عن صديقي الجديد. زواج سريع، وكارثة مزدوجة لم أعرف مطلقاً أسبابها. لم نلتق مجدداً، أنا وهو، بسبب دناءات بدون أهمية مثلما لم أبحث عن أسباب هذا المأساة السرابية.

بعد مرور سنة، ألقيت محاضرة حول توني نيغري(*) وعدم القدرة الديمقراطية في جامعة العلوم السياسية، وكانت آنا، تراقبني من بين الجمهور. كانت تعمل كمراسلة، مثلما أسرت لي بعد فترة

(*) توني نيغري، فيلسوف إيطالي معاصر، أحد منظّري وقادة «النضال مستمر».



Twitter: @ketab_n

قصيرة، بيد أنها جاءت للاستماع إليّ، بعد أن لفت اسمي انتباهها. هل كنت نسيتها؟ شفتاها، امتشاق قامتها. بالتأكيد لا.

أمضينا معاً بقية فترة بعد الظهر تلك، شربنا عدة كؤوس ـ وليس في الأمر أي شيء استثنائي ـ وقادتني بعد ذلك إلى أحد أندية «السالسا» وهو بذي غير أهمية، حيث ـ ولحسن الحظ ـ رفضت أن ترقص. أوصلتها عند الفجر إلى منزلها، الواقع في شارع ريو كوروبوسكو، وبقيت الأمور على حالها.

تعودنا على الاتصال ببعضنا البعض هاتفيا. كنت أعشق تهورها، مرحها، صوتها الأجش. أكره الهاتف، إلا أني كنت أدعها تتحدث عمّا يحلو لها ـ عائلتها، حماقات السياسيين، شغفها بالأحذية ـ طوال الفترة التي تحلو لها. كنت أكتشف منطقها لتوي، هذا إذا كانت تملك منطقاً، وكنت أجد أن لا عيب فيها.

في شقتها البيضاء والعارية ـ الأشبه بصالة عرض فارغة ـ تباهت أمامي بمجموعة غلايين الماء(*) التي تملكها. وصلت إلى مرحلة الكحول وتناول المهدئات، ومن ثم إلى حالة الارتجاف والخوف، ليلا، في غرفتها.

لم أكن أشاركها أشجانها ـ فأنا شخص جبان لا يفقد أبداً السيطرة على نفسه ـ وكنت أُدهش من رؤيتها وهي تنتقل من مرحلة

(*) الأراكيل.



Twitter: @ketab_n

الهدوء إلى البكاء، ومن البكاء إلى العنف، كما من كوني المتفرج الوحيد الذي يشاهد مأساتها ذات الفصول الثلاثة.

لزمني وقت كي أعرف، وعلى الرغم من مرحها وامتشاق قامتها، أن آنا كانت تعاني.

اتصلت بي ذات ليلة: ثمة عيون متوحشة كانت تنثال عليها. ذهبت لنجدتها، ووجدتها عارية ومتجمدة في عمق خزانة ملابسها، قبلتها من جفنيها وشعرت بأني عاجز إلى ما لانهاية. منحتني آنا سعادة إنقاذها.


Twitter: @ketab_n

# ارتداد

لم يأخذني أبي الكاثوليكي معه يوماً إلى حضور القداس، ربما لأنه لم يكن يقبل بالمنافسة؛ كان الوحيد من يملك الحقيقة. بعد أن تعب من الرياء الإجتماعي ـ وهو أيضاً كان غريباً عن عالمه ـ وجد ملجأه في بعض المعتقدات المطلقة: العائلة، الله، التضحية. أدخلني إلى المدرسة الدينية التي تربى فيها، معتمداً على الإخوة الرهبان في تقوية الطاعة الدقيقة التي كان يرغب في أن يتركها لي كميراث.

في مراهقتي، تعلقت لفترة قصيرة بالروحانيات؛ قرأت المتحذلق والمتشكك القديس توما (الأكويني)، وأرسم شارة الصليب حين أمرّ أمام الكنيسة وأغلق عينيّ كي لا أشاهد الصور الإباحية التي كانت تمرر في الصف. كنت أعتبر نفسي مدافعا عن النصرانية. إلى أن جاءت اللحظة التي اكتشفت فيها نيتشه ـ ربما هو تصادم، أو تعذيب ـ وفقدت الإيمان.

هل فقدته؟ هل نفقد شيئاً غير موجود؟ هل كان تمرداً حزيناً أو مكراً؟ لقد دفن الله ـ ليتقدس اسمه. ما من شيء يخلصنا وما من



Twitter: @ketab_n

شيء يحاكمنا. الحقيقة هي فعل عنف. الإحساس بالذنب مرض العبيد المفروض علينا.

معركة من أجل الحياة. معركة ضد أبي. ضد نفسي. على الرغم من كفري، لا أعرف إن كنت كسبتها.



Twitter: @ketab_n

# فريدة

يُروى ـ والله أعلم ـ بأن ليلى لم تبد أي ردة فعل حين قدم لها والدها صالح ـ مهندس من كركوك ـ ليكون زوج المستقبل.

مثلها مثل العديد من الفتيات الأخريات في محيطها، لم تكن تغطي رأسها أبداً ـ ذا الشعر الذهبي والفضي ـ وكانت ترتدي البنطال، تدرس المعلوماتية، تعشق الناي وتعرف بأنها جميلة وذكية. أضف إلى هذا، أنها فرضت ذلك كله على صالح، الذي كانت استدارة شفتيه تفشي بأنه كان صاحب روح كريمة. حين تزوجت، شعرت ليلى بأن قلبها ارتاح.

اهتم بها صالح، الصموت، مثلما تهتم لبوة بذريّتها. تركها تحقق رغباتها، ففي النهاية، كان يحبها. وشعر الاثنان بالسعادة تغمرهما بالفرح حين رزقهما الرحمن ـ ليتمجد اسمه ـ بطفلة اسمياها فريدة.

كان التهديدات ببداية الحرب تكبر واعتبر صالح أنه من المستحسن الابتعاد عن الموصل وعن تصفية الحسابات الممكنة



Twitter: @ketab_n

الحصول: إذ بدأ المقاتلون الأكراد في الشمال بشحذ سكاكينهم. رفضت ليلى الرحيل. ففي الموصل بيتها وعائلتها.

كلما تقدمت بصعوبة باتجاه كركوك، وهي مختبئة تحت الحجاب، كانت ليلى تفقد قواها تدريجيا: انتبهت للحظتها، إلى أن بين بقايا أكواخ متكلسة، شكلاً بشرياً. لا، لم تستطع أن لا تتذكر عينيّ فريدة.



Twitter: @ketab_n

# زوجان

الرجال والنساء هم أعداء. يبدأ الأمر من الصراع ما بين السائل المنوي والرحم من أجل إعلان التفوق. إنها حرب يصارع فيه أحدهم كي يعيد انتاج نفسه ويهرب، بينما يصارع الآخر لإعاة انتاج نفسه ولرفض الهرب.

نزعج بعضنا بعضاً، نخون بعضنا بعضاً، نجرح بعضنا بعضاً، نلوث بعضنا بعضاً، نمزق بعضنا بعضاً، نعذب بعضنا بعضاً، ندمر بعضنا بعضاً. ومن ثم ننتظر التالي.

Twitter: @ketab_n

# اثنان

أينما كنّا اثنين، فلا بدّ من وجود هاوية.


Twitter: @ketab_n

# هشّة

تهيأ لأنّا أنها يتيمة ضائعة في غابة معتمة، تحت رحمة البهائم المتوحشة كما تحت رحمة الجوع.

في غريتيل، بدون أخ يساعدها.

كانت تخشى مطر شهر آب. ريح المساء. عيون الكلاب. الفيروسات. الرجال الذين يشتهونها في المترو. من الصفوف الواقفة أمام صناديق الدفع في المحلات الكبيرة. من المنتزهات القاحلة. من ميلها إلى جرح نفسها.

من أيام الآحاد.

كانت تحاول أن تسخر من نفسها. أنا شخص هشّ لأن والدي هجرني، تقول لنفسها. وهذا الهجر كان يشكل لها أحياناً درع أمان، وأحياناً ذخيرة.

أخذت على عاتقي مهمة التقليل من حدّة ذلك: أنت قوية، أنظري لنفسك لقد نجحت في التخلص من ذلك. أنت تضيئين كلّ


Twitter: @ketab_n

ما تلمسينه. بيد أن الأمر لم ينجح. إذ كانت تجد، أن كلمتي، لم تكن إلا لتزيدها شعوراً بأنها أكثر عطبا.

كانت والدتها تمنع هذه الهلوسة. إذ كان يواكيم يعيش في البعيد، وكان ذلك أفضل، إذ سيسامحه الله، فقد حدث له أن رفع يده بوجهها. إلا أنه في أعماق نفسه كان يعشقها ولا ينسى بتاتا هدية عيد مولدها. في جميع الأحوال، كانت دونا إستير تصر على القول، لقد بقيت دائماً بالقرب منها، لم ينقصها الحنان أبداً.

هل كانت آنا تبالغ في ذلك؟ هل كانت تجد متعة في لعب دور الطفل المتروك؟

جعلتني أعدها، أني وبخلاف الآخرين، لن أتركها أبداً. وقعت على التزامي هذا على ورقة من يومياتها.


Twitter: @ketab_n

# خوف

عليك أن تسهر عليّ.

صوت آنا.

أضمها بين ذراعي حتى الصباح.

كان خوفها يجهل خوفي.



Twitter: @ketab_n

# تمرين

لمدينتي قطبان: مواصلات متوحشة وبيروقراطية مميتة. البطء ينتصر فيها على السرعة.

أمسك بالمقود ـ فأن لا يكون لديك سيارة في هذا المكان، لهو أمر يشبه الانتحار ـ أبرمج الراديو على لحن لباخ، كما لو أنه مخدر، لأسلك طريق الفياديكتو، طريقا من الباطون والحديد والكآبة. لا أفكر بتاتاً؛ التلوث والضجة يزهقان الأعصاب.

ضاعت ساعتان.

ثلاث أخرى في الجامعة ـ سيكون من الأفضل أن أتحدث عن المركز التجاري الذي شيّد في المكان الذين كانوا يجمعون فيها سابقاً القمامة ـ الجامعة التي وظفتني: أوراق وتواقيع، تواقيع وأوراق. شهادة ميلاد، دبلومات، إفادة سكن، ورقة الضرائب، وغيرها من الأوراق المجهولة، وحسابات الهوية المصرفية. صفوف طويلة من الانتظار للحصول على كلّ ورقة. وصفوف أخرى لتسليمها.



Twitter: @ketab_n

مضى شهر ونصف على هذه الحالة، عليَّ الركض في كلّ الاتجاهات ـ حفظت الطريق الدائري السريع غيبا ـ ما بين البائعين المتجولين، وحُجّاب السيد العمدة وخطاباته.

ما من سطر بطبيعة الحال.

هل يمكن الكتابة عن الإنسانية من خلال رضا الحشود المعجبة بذلك؟ ملايين الوجوه المسمرة، الأجساد المتشابهة: كابوس حقيقي أن ترى ذلك يتكرر عدة مرات.



Twitter: @ketab_n

# نبات

في طفولتها، عاشت آنا مع والدتها في شيوداد فاليس، في منزل محاط بالنباتات الفواحة، التي لم تكن سوى هدية عبثية أخرى من هدايا الغياب.

بعد استقرارها في مكسيكو، وفي كلّ مرة كانت تغرق فيها بالضباب واليأس ـ تتوقف عن الأكل، تغلق الشبابيك، تنزع الهاتف، تدخن وتشرب إلى حدّ الإعياء ـ تترك آنا نفسها تسقط على الأرض وتتظاهر بأنها تسقي النعناع أو بأنها تغسل أوراق الريحان التي زرعت من عهد قريب.

وحدها ذكرى هذه الحديقة تسمح لها بأن تجد النعاس.



Twitter: @ketab_n

# جنّة

قال النبي ـ عليه السلام ـ إنّ المؤمنين الذين يقومون بأعمال صالحة سيشعرون بالمتعة، لأنهم سيعرفون الجنّة التي تجري فيها الأنهار.



Twitter: @ketab_n

# قابل للتبادل

من يتعاطى الحرب والجنس، نجد أن أجسادهم قابلة للتبادل.



Twitter: @ketab_n

# جنيّ

يُروى ـ والله وحده يميز بين المشرقين والمخابيل ـ بأن ليلى التقت بالجنّي الذي أصبح يرافقها، خلال هربها من الموصل.

تركت وراءها منزلها، دماء فريدة، المؤذن نوري، وبعد أن أقعدتها الحرارة، تاهت على الطريق.

التجأت جالسة تحت إفريز ذي عوارض مسودة من جراء الاحتراق، فأخرجت من خرجها بعض الحلوى وعدة حبات من التمر.

حينذاك سمعت طنينا سرعان ما ميّزت فيه صوت نحيب. كانت الضجة تأتي من تلّة قريبة. حفرت ليلى في الرمال. سرعان ما تقرحت يداها وانتفختا. ومن الرمال، انبثق جنّي في حالة يرثى لها، أخضر اللون مغطى بالكدمات. ذرعاه وقدماه مربوطة ببعضها البعض. يتنفس بأعجوبة.

حين نجحت ليلى بفك وثائقه أخيرا، انتصب مارد الصحراء واقفاً ـ مثل عمود ـ ليغرز لها في حلقومها رأس خنجره.



Twitter: @ketab_n

سأقتلك، قال لها. لقد دفنني البيشمركة هنا منذ ثلاثة أيام. في اليوم الأول، أقسمت على أن أعطي كلّ ذهب العالم لمن ينقذني. في اليوم الثاني، وعدت بأن أصبح عبده. لكن في اليوم الثالث، وبعد أن أعياني عدم مجيء أي شخص، وبعد أرهقني الجوع، قررت أن أقتل أول من يراني.

إنه أنتِ.

بعد أن انهارت على الأرض، عفرت ليلى جبينها بالتراب أمام الجني طالبة مغفرته. أخبرته كيف قتل أباها وزوجها، حدثته عن عينيّ فريدة. لا يستطيع أن يقتلها، ليس الآن. وبمساعدة الرحمن ـ ليتمجد اسمه ـ عليه أن يساعدها على إيجاد أشقائها.

شعر الجني بالعاطفة حين رأى دموعها تنساب من حبات اللؤلؤ. حسن، أيتها المرأة، سأمنحك ثلاث أمنيات. بل أكثر من ذلك: سأصطحبك لغاية أن تتحقق الأمنية الأخيرة. لكن لا تنسي، في النهاية، عليّ الوفاء بكلمتي.


Twitter: @ketab_n

# مدن

مدن شبيهة بمدينتي، حيث السير فيها صار يشكل تهديدا.

مدن منذورة إلى التقلبات وإلى المحركات.

مدن من دون عابرين.

صحارى.



Twitter: @ketab_n

# شهداء

صعد الصبي إلى العربة، نظر عبر المرآة العاكسة.

وضع يديه بهدوء على المقود، كما لو أنه كان يلعب «الداما» مع أخته.

تقدم على مهل، كي لا يفوته المفرق.

يستدير، وفق الخطة المحكمة، فيرى الجامع والهراطقة.

يتلفظ باسم النبي ـ عليه السلام ـ ويقترب من الرصيف إلى اليسار، حيث يتوافد الحجاج.

قريبا الجنّة، قال لنفسه.

هز الانفجار الحيّ بأسره.

نداءات استغاثة. ذعر. نحيب. وفي البعيد صافرات الإنذار.

هي حياة كلّ يوم.



Twitter: @ketab_n

# إنسانوية

لا يحتقر الإرهابي الحياة، مثلما يقول محازبو هذه الطريقة القاسية. يعرف أنها وسيلة التبادل الوحيدة الصالحة مع عدوه. وحين يفجر نفسه في سوق أو ساحة أو في مدرسة، فهو لا يقوم بأي تمييز بين أهل البلد والغرباء، بين السود والبيض، بين العرب والأكراد، بين المؤمنين والكفار. وهم بذلك، يظهرون أكثر مما يدعو إليه علماء الدين: يبرهنون على أننا متساوون جميعاً أمام الموت.

الإرهابي هو أيضاً شخص إنسانوي.


Twitter: @ketab_n

# أبرياء

لن تكون هناك أي جريمة: سيذهب الأبرياء إلى الجنّة في أيّ حال.



Twitter: @ketab_n

# اجتياح

اعتادت آنا على وجودي. تتركني برفقتها إلى الصباح، لتقاسمني شرقطات مزاحها التي تحيلها مبتهجة ـ ولا مرّة في حياتي رأيت مثل هذه الابتسامة العريضة ـ من ثم، كانت تحضر شرابا ساخنا من النعناع لتطردني من على الباب من دون أي اعتبار آخر.

من وقت إلى آخر كنّا نمارس الجنس معا. تنزع ثيابها بعجل وتتمدد على الشراشف. وعليّ أنا القيام بالباقي.

الليلة الأولى التي أمضيناها ونحن بين ذراعيّ بعضنا البعض، كانت حصيلة نسيان. كنت أمسك بها، على طول قامتها وحين انتبهنا إلى ما كانت تشير إليه الساعة ـ كانت السادسة صباحاً ـ قالت لي بصوت خفيض بأن لا أذهب.

كانت الرتابة تلاحق قوانينها الصامتة: انتهى بي الأمر بمشاركتها شقتها ـ بيضاء وخالية من الطاولات والمناضد ـ لأيام في الأسبوع. تظاهرنا بأن ليس هناك أي ارتباط، ولو أقلّه، بيننا: من غير الوارد أن نستحم معاً، أن نغسل الأواني أو نتناول فطورنا ونحن نقرأ الصحف.



Twitter: @ketab_n

تمدّد الاجتياح، بشكل محتم، وفق المخطط الذي هيأته.

رويداً رويداً، أظهرت آنا عن حاجتها لأن تشعر بأني قربها، بأن تسمع صوتي، بأن تصغي إلى نصائحي، وبسرعة برهنت على أنها لا يمكن لها أن تنتظر الصباح بدون أن أعانقها.



Twitter: @ketab_n

## مواساتها

حلّ منتصف الليل وكنت استعد للنوم في منزلي. شهد اليوم، اجتماعا تافها لمثقفين لم يفعلوا شيئاً سوى لحس جراحهم؛ لا أحد منهم كان يمتلك اللازم ليجابه النظام وليدفع بمخططاته.

تمدّدت وكما أنه لا ينقصني القيام بذلك خلال هذه الشهور الماضية، فتحت كتاب بيسوا المفضل عندي. «خارت عزيمتي من هذه الإنسانية الفظة، ولكي أقفل عليها، لم أجد غيرها. يحدث لي أحياناً أن أعمّق هذا الغثيان دافعا نفسي إلى التقيؤ لكي أريح معدتي».

لم يكن باستطاعتي أن أقف في مكاني، وفمي مليء بالمرارة.

رنّ جرس الهاتف. وحين رفعت السماعة، لم أسمع إلا تلك الخشخشة التي تشير إلى أنهم أقفلوا الخط.

عدت إلى بيسوا.

لم يكن بمقدوري التركيز، طلبت رقم هاتف آنا. لا شيء. أعدت طلبه. لا شيء. حاولت مرة ثالثة. لا شيء أيضاً.



Twitter: @ketab_n

صعدت إلى سيارتي وذهبت إلى منزلها بسرعة كبيرة. مع العلم أني كنت متيقناً بأن الشعور الذي انتابني لا معنى له، إذ كنت أخاف عليها. في صباح هذا اليوم، كانت تشاجرت بعنف مع ناشرة المجلة التي تعمل فيها (لم تتمكن يوماً من قبول أوامر أحد).

صعدت السلم راكضا ودخلت كإعصار إلى شقتها المعتمة حيث ما من بصيص نور.

قفزت أنّا حين راتني أظهر فجأة. لم تكن ترتدي سوى «تي شيرت» صفراء. نظرت إلى استدارة ساقيها الناعمة.

هل أنت بخير؟

أجل بالتأكيد، أجابتني منزعجة.

عدت إلى منزلي، مكبلاً بهذه الرغبة الحمقاء في مواساتها.



Twitter: @ketab_n

# ضحايا

لماذا كركوك؟

أظهر الجنيّ عدم رضاه بتجهم. كانت تلك الأرض الموحلة، التي كانت لا تزال محتلة من قبل مقاتلي الشمال ـ البؤساء ـ تشتعل بالرغبة في الانتقام. في فترة هيمنة ذلك الكريه، إما طُردت عائلات تلك المنطقة وإما تمّ تصفيتها؛ كلّ عائلة منها فقدت على الأقل فرداً من أفرادها، أو أفنيت.

لماذا كركوك؟

أغاظ عناد ليلى الجنيّ. لمَ الذهاب إلى ذاك المستنقع المليء بالأسطح الوسخة والزيوت السوداء المشتهاة بكثرة؟ أصبحوا يعتبروننا بمثابة أعداء، وما من أحد يقدم لنا ملجأ.

لم تصغِ ليلى إلى إبليس الصحراء (تشعر أحياناً بأن قضيتها هي قضية مراهق) ودخلت إلى مسقط رأس زوجها.

يتفاخر الأسياد الجدد بقوتهم: دبابات المعركة ليست سوى



Twitter: @ketab_n

نمال حقيرة؛ رجال متسلحون ببنادق هجومية ـ يظهرون أسنانهم ـ يحرسون تقاطع الطرق. نشتم رائحة وقود وخوف.

يدخل الحجاج إلى الممرات الموحلة. تتعرف ليلى إلى متاهات حيّها. لا يوقفها أحد ـ أحال الجنيّ نفسه مرئياً ـ إلا أن جيرانها صوبوا ناحيتها نظرات سوداء.

أمام مدخل بيت صالح، كانت ترتفع الأنّات واليأس كان محسوسا.

ثمة شاحنات ملأى بالأثاث والأجهزة الكهربائية، محروسة كأنها سبائك ذهبية، كانت تعيق المرور؛ لقد عاد المالكون القدامى ليطالبوا بماضيهم.

ليس الأمر سوى عدالة. على أحدهم أن يدفع ثمن هذه الإهانات. أهو الكريه أم جلاوزته؟ يبقى هؤلاء مختبئين مثل الخُلد. وحدهم الذين بقوا، كما دائماً، الأطفال والنساء اللواتي هرب أزواجهن.

تبادل مناف، وضحايا.

استقبلت شقيقة صالح الكبرى ـ وهي عانس لم تصل إلى الأربعين بعد ـ ليلى بجفاء. تريد الرحيل لتجد مأوى عند نسيبة بعيدة لها، إذ أعطي منزلها لشخص كردي ذي عاهة ولأولاده.

بكت المرأتان وافترقتا من دون أن تتلامسا.


Twitter: @ketab_n

بقي الجنيّ لا مبال. وماذا لو أنك تدبر لها بيتا؟ سألته ليلى حين أصبحا مجدداً على الطريق.

لِمَ لا، إن أردت ذلك، لكني أذكرك بأنه لم يتبق لك سوى أمنيتين. ولديك شقيقان.



Twitter: @ketab_n

# سابينا

تشردت ست سنوات في أتالانتا؛ في تلك المدينة يوجد المطار الأكثر استقبالاً للزوار في هذا الكون، كما مكاتب السي. أن. أن، وهي مهد الكوكا كولا، رحيق الفقير الأسود.

أنها مدينة بدون مدينة.

في زاوية منها، تجد الغنى الأبيض المنعزل، والسود في كلّ مكان.

أعطتني الجامعة منزلاً صغيراً في الغابة. وإن أردت يوم الأحد الذهاب إلى السينما، إلى الداون تاون ـ عبارة عن ماكيت غير مأهول في المستقبل ـ توجب عليّ المشي لأكثر من ساعة لأصل إلى أقرب محطة مترو، هذا إن لم يقطع عني رغبتي أحد المسلحين البؤساء.

جاءت إحدى الفتيات الشاحبات ذات شعر اسود للقائي في غرفتي الضيقة في الجامعة. حدث ذلك مع بداية العام. قالت إن اسمها سابينا، وبأنها رئيسة شركة ومليونيرة؛ وبفضل الاندفاعة


Twitter: @ketab_n

التكنولوجية، ازدادت أسهم شركتها خمسة أضعاف. قرأت مقالاتي، خلال رحلة عمل، ورغبت في أن تتعرف بي.

لم تقل شيئاً مهما غير ذلك.

بعد الغذاء، اصطحبتها إلى منزلي في الغابة. تعرينا بحنق وصمت. حين اقترحت علها أن تبقى وتنام عندي، أصرت على الرحيل.

لعبت دور الطيور المهاجرة، وكانت ترجع كلّ خمسة عشرة يوما. ذات يوم، أهدتني قصيدة ـ كتبتها لي ـ أسرت لي أنها تحب تروتسكي أكثر من أي رجل آخر. كانت على النقيض من أنا: حاذقة، مقتضبة، بدون تطلبات. صارت رغبتي امرأة.

دمية بجسد نصف شفاف.

مع نهاية نصف السنة انقطع الروتين بيننا. ذهبت إلى اليونان بسبب الاجازة من دون أن أفكر بأخذ إجازة منها. عند عودتي، وجدت في علبتي البريدية رزمة من الرسائل. من القصائد. ما من واحدة منها تحوي على أدنى طلب؛ لم تكُ سوى استعارات هوائية، مطر، أبياتِ تذكرني بكفافي.

نسيتها من دون أن أنتبه لذلك.

وأنا أفرغ حقائبي في مكسيكو، وجدت هذه القصائد.

قرأتها وأعدت قراءتها كما لو أنها تحتوي على حقيقة تهرب مني.



Twitter: @ketab_n

# جنّة

ليتمجد اسم الرب، الذي جعل متعة الرجل الكبيرة تكمن في قطّ المرأة ومتعة المرأة الكبيرة في القضيب الذكري، بطريقة جعل قط المرأة لا يتمدد ولا يلتذ ولا يتخذ شكلاً ولا يرتوي إلا حين يدخله العضو المرغوب فيه كثيراً، كما جعل العضو لا يرتاح ولا يشعر بالرضا إلا حين يخترق هذا القط.

إن اقتراب الواحد من الآخر، واختلاطهما واتحادهما هو ما يحدث الاحتكاك، نفير الأبواق، الجسد المهتاج للجسد. وذاك حين يمتزج الدغلين الكثيفين، الرجل برغبته في الدك، المرأة في حركتها الصاعدة والهابطة، وما يصاحبها من هزات فجائية، من تأرجح، من كلمات ناعمة، من تنهيدات، من مواء، من ابتسامات، عندها يدل ذلك كله عن اقتراب المتعتين معاً التي تصل لغاية الاحساس الأسمى والقذف.



Twitter: @ketab_n

# مجهولون

في الليل والتعرق، كيف يمكن تمييز جسد من آخر؟ أو بشكل أدق، كيف نعرف ما الذي تمدد تحت الأصابع والنزوات؟

نعشق الأجساد الفارغة، الرغبة التي تنتجها حاجتنا.

حين يتوقف اللهاث ـ إشراقة الكافر الهشة ـ يظهر الآخر مجدداً: من هنا يولد الاضطراب.

لا نتجامع سوى مع المجهولين.



Twitter: @ketab_n

# تلفاز

دعيت إلى المشاركة في حلقة تلفزيونية عن الحرب في الشرق الأوسط. انتهى الأمر بمقدمة الحلقة ـ وهي صحافية شهيرة في عالم المرئي والمسموع وذات شعر قصير بطريقة لا تقاوم ـ باقناعي حين أسرت لي بأن مهاتراتي تسحرها. منذ أن رجعت إلى بلدي، موطن أبناء آوى والأشباح، وأنا اشعر بصعوبة أن أبدو فظاً. فجأة، لم أعد أجرؤ على قول لا.

إنها شابة ولامعة، بدون شك ألمع منّا. وأتعس ما في الأمر، أننا جميعاً متفقون على ذلك: سيكون الاجتياح فشلاً ذريعاً. أُثرت بسبب إثارة المدعوين الآخرين، وهم ثلاثة جامعيين بثيابهم من نوع «زيغنا» وكاتب متكرش مؤلف للروايات البوليسية الذي ينافسني على مرارتي.

مهانا، وجدت نفسي في تبجحاتهم. جعلوني أشعر تقريبا بالرغبة في الدفاع عن جيراني القدامى ـ المرأة العجوز التي تقيم في الطابق الثاني والتي لديها حفيدان في البحرية، الوطنية التي في



Twitter: @ketab_n

الخامس وعشيقتها الكوبية، أستاذ كرسي الآداب الكلاسيكية الذي كان يعلق على القصف ـ وذلك كي أوقف فرحهم.

احتجينا كلّنا على راعي البقر وعلى عملائه. ما من واحد منّا يعرف ما الذي كان يحدث هناك. كانت ليلى واقرباؤها مجرد تجريدات، أسماء لا يمكن التلفظ بها. وبخلاف ذلك، لم نبخل في التعليق على زوابع السخط وعلى خدائع أخرى تسمح لنا بإظهار غضبنا في استعراض تلفزيوني.



Twitter: @ketab_n

# بكاء

كانت أنّا تبكي بعد هزة الجماع. لا بسبب فرح غير مسبور، ولا بسبب حزن ما بعد المجامعة الأعمى. كانت أدنى لمسة تجعلها تنتفض. وكنت أشعر بأني بدلا من أحبها كنت أسلخ جلدها.



Twitter: @ketab_n

## سماء

رفعت ليلى عينيها وتراءى لها أنهم وضعوا شرائط في السماء. عشرة، عشرون خطاً مستقيماً. أعجبت بجمالها الهارب. بيد أنها لم تفهم أبداً كيف يمكن للمرء أن يحيا من بعد زئيرها.


Twitter: @ketab_n

# كرب

لم تعرف ليلى شيئاً آخر في حياتها غير المعارك. في اليوم الذي ولدت فيه، أعطى الكريه الأمر بإغراق سبعة أمكنة عدوة بالنار (وعلى هذا ردّ الإيرانيون بتناسق قاس). لم يعد خالها وسبعة أنسباء وبعض أصدقاء والدها الذي تم تجنيده كطبيب في كتيبة الصدم السادسة، إلى منازلهم أبداً. والهدوء الذي خيّم بعد الهدنة ـ بعد النصر وفق البيانات الرسمية ـ لم يدم سوى للحظات.

في اليوم الأول من ذهابها إلى مدرستها الابتدائية، توجب على ليلى أن تحمد ملك الكون ـ ليكن مباركاً ـ على استعادته المجيدة للكويت. يومها، شاهدت للمرة الأولى الأثلام في السماء وتيقنت من زئيرها. تمّ استدعاء سبعة أعضاء آخرين من عشيرتها ولم يُعد يُعرف عنهم أي خبر.

انطفأت آخر مناوشات هذه الحرب بينما كانت ليلى لا تزال تلعب بدميتها، بيد أن الاعتقالات لم تتوقف أبداً في مدينتها.

بقيت الموصل بعيدة عن منطقة الحظر الجوي الذي فرضه المنتصرون، ما جعلها غير آمنة من الانتقامات البربرية التي مارستها



Twitter: @ketab_n

كتيبة الصدم الخامسة. تمّ إيقاف ثلاثة زعماء من عشيرتها وتمّ اتهامهم بالخيانة. ولم تمنع المساعي الحميدة التي قام بها والدها، الذي كان ذا مكانة في الحزب، عملية إعدامهم. أربعة زملاء في صف ليلى، وجميعهم من الأكراد، لم يظهروا مجدداً.

كبرت ليلى في الخوف من الغد ـ حتى أن عائلتها كانت تقنّن مصروفها من اللحم والبيض ـ كبرت بيقين أن الهدوء ليس سوى حجاب الوهم، الذي ينتهي الأمر به دائماً إلى أن يتمزق.

وهذا ما حدث عاجلا.

على الطرف الآخر من العالم، دُمّر البرجان وبدأت الحسابات العكسية. كلّ مساء، كان والدها وزوجها يصليان أمام الشاشة.



Twitter: @ketab_n

# خيانة

لم تكن أنّا تشك بأي شيء: خنتها عشرات المرات مموها البراهين بلباقة. لم تأخذ عليّ أي مأخذ بتاتاً: كانت الغيرة، تتراءى لها، وأكثر من كونه أمراً عديم النفع، أمراً سوقياً. وبعيداً عن الطبيعة الذكورية البائسة ـ إذ كانت تعشق النكات النسوية ـ لم تكن تُضيع وقتها في محاولة كبح جماح غرائزنا المتوحشة.

ومع ذلك، كانت حدّة ذهنها المشعّة تعذبها أحياناً، فتنتقم من نفسها بإظهار أنها متكبرة ومتقلبة الأطوار.

أسوأ ما في الأمر أنها تحتقر نفسها.

طيلة الفترة التي استمرت فيها علاقتنا، لم أنم مع امرأة أخرى، ولست واثقا في معرفة لِمَ ـ وأضع جانبا الخوف والشعور بالحب والفضيلة ـ تصرفت على هذا النحو. كنت أعيش حياة واحدة ومتفردة. حين انفصلت عن أنّا، تهمشت هذه الحياة مثل مرآة حيث أعلن كلّ نثار منها عن حصتي بالرغبة. مذذاك، لم يستطع جسدي الاستمرار من دون جسد آخر.



Twitter: @ketab_n

# ضحكة

حتى وهي غارقة في هاوياتها، كانت أنّا تروي الأقاصيص التي تدفع أكثرنا صرامة إلى الضحك. اعتقدت أن نفاذ البصيرة هذه ستنقذنا.



Twitter: @ketab_n

# فقاعة

كبرت داخل فقاعة، كذاك الطفل في فيلم قديم يُعرض أيام الآحاد، الطفل الفقاعة. أما فقاعتي فكانت مربعة، شبيهة بخيمة نصف شفافة.

سبب لي الربو، يومها، بامتحانات شتى، بحياة بعيدة عن الأرض داخل مركبة فضائية منحرفة عن مسارها.

في فترة مراهقتي، توقف الألم. ورويداً رويداً، عدت وانخرطت في الحياة العادية لكوكبنا ـ ألعاب في الهواء الطلق، الجنس والطموح ـ واضطلعت بأموره.

لكن الفقاعة، بخلاف ذلك، بقيت.



Twitter: @ketab_n

# أخ

عدت والتقيت بأخي بعد خمسة عشرة سنة من الغياب. حين غادرت بلدي، كان غارقا في موسيقى الروك، المخدرات، في الإحساس بالذنب. تعب من دراسته المحاسبة، فبدأ يقرأ كرواك وبوكوفسكي. كان شعره طويلاً، الأوشام على جسده، ويرتدي سراويل الجينز الممزقة ـ أي كلّ ما يكرهه والدي ـ واكتشف في تلك اللحظة أن صديقته حامل.

حطمت لاعدالة العالم مشاريعه كلها؛ هذا ما كان يردده.

بالكاد شعرت أو أردت أن أعرف أخباره الجديدة. كان واحداً من أولئك الحجاج الذين لا يحصون، والذين يسافرون إلى الهند أو إلى أواكساكا؛ تسول في لابلايا دل كارمن؛ تعلم العزف على الباتري وكتب قصائد عن حمى العدم وهيمنته. ارتكب السرقة، التهريب، وبحث عن ملاذ في الكريشنا والتحليل النفسي. ومنذ عدة أشهر، وبعد أن شعر بالتعب، قبل بوظيفة مكتبية في إحدى دور الإنتاج.

تفاجأت اليوم بجلده المحروق وببرودته. يبدو بمثابة ناج.


Twitter: @ketab_n

استمر حديثنا طيلة فترة بعد الظهر، أراني صور ابنته ـ مراهقة مليئة بالحيوية وتضع بيرسنغ على شفتيها ـ حدثني عن صعوباته العائلية وعن هربه. وتحت سطور حكايته، شعرت بأنه يأخذ عليّ أنني تجاهلت وجوده طيلة هذه السنوات، وكان مصيبا في ذلك.

حين غادرنا المقهى، بدا لي أنه يشبهني. بيد أنني شعرت بأن ألمه لا يزال غريباً عليّ.



Twitter: @ketab_n

# أخبار

غارقا تحت ثلج إيثاكا، في درجة تبلغ ثلاثين درجة تحت الصفر، وبعيداً عن كلّ شيء، علمت بخبر وفاة عمتي العجوز غراسييلا. كلّ نهار جمعة، وحين كنّا صغارا، كانت تحمل إلينا الشوكولا، لي ولأخي.

كل نهار جمعة.

تلقيت هذا النبأ الحزين التافه الذي حرك فيّ مشاعر نبأ انهيار البرجين التوأمين.



Twitter: @ketab_n

# إيديولوجيا

كانت آنا أكثر راديكالية ـ ومن الأفضل أن نقول: أكثر التزاما ـ مني. لم تكن قد قرأت لا باكونين ولا كروبوتكين ولا بالأحرى توني نيغري، الذي كنت اكتشفته لتوي. كانت فوضويتها عبارة عن سيرة ذاتية.

على قولها، رجال السياسة، من حيث المبدأ، هم أبناء آوى متضورون جوعا، جشعون، ولم تكن تتوقف عن السخرية من سخافتهم ومن خداعهم.

لم تكن تحتمل رؤيتهم يخادعون ولا أن لا يشعروا بالقلق على الآخرين. من المستحسن أن نجعلهم يقفون في الصف وأن نطلق النار عليهم واحداً تلو الآخر، كانت تقول.

قبل خمسة عشرة سنة، كنت شخصا حصيفا يرغب في رؤية الطوباوية الديمقراطية تتحقق (إمبراطورية التافهين، على قولها). بالطبع كنت أكره الـ PRI (الحزب الثوري الدستوري في المكسيك) بيد أني آمنت بتغيير متصاعد. كانت آنا تجد حججي حججا



Twitter: @ketab_n

طفولية: ما من خلاص ممكن مع هؤلاء البهائم الذين يحكموننا: إنهم شراهة صافية، بدون ذاكرة.

مواجهاتنا الإيديولوجية كانت تنتهي بمآس في غرفة النوم. كنت أدافع عن الحيطة، وعن التسويات التي لا غنى عنها، في حين تفضل أن تبقى بعيدة عن السلطة وعن هذه البهائم المضرّة.

جاءت الأتاوات وعمليات السلب وتحويل الثروات وغيرها من السرقات الفاضحة التي ارتكبتها الحكومة، لتعطيها الحق. قلت لك ذلك، ختمت قولها لي. لن يتركوا قالب الحلوى أبداً، حتى وإن ماتوا.

منذ أن غادرت بلدي، منذ أن غادرتها هي، بحثت عن كيفية تصحيح أخطائي. أن اجعل غضبها غضبي.


Twitter: @ketab_n

# مركز

تطلعي الوحيد يكمن في أن لا أملك أي مركز.



Twitter: @ketab_n

# جثث

نظر الجنيّ إلى ليلى بإلحاح. سدّي أنفك ولا تنظري. لم تطعه بشكل كامل، إذ لم تستطع أن تخمد حشريتها، هذه الفضيلة العائدة للنساء. سرعان ما وقعت نظرتها على ما كان عليها أن لا تشاهده.

جثث.

صفٌ من الجثث إلى جانب الطريق. الواحدة قرب الأخرى، ممددة على درب مهجور. مغطاة بأسمال غامقة، بالرمل والدم الجاف.

جسد قرب آخر، هنا، في الهواء الطلق. عشرات الأجساد. مبتورة، معروضة أمام العيون. بدون أكفان.

كان مشهداً لم تره ليلى من قبل إلا على شاشة، مشهداً مثالياً من أجل مصور فوتوغرافي محترف. بيد أن لا أحد هنا ينظر عبر العدسة؛ لا أحد يمر سواها وسوى الجنيّ.

أمسك شيطان الصحراء بيدها قائلاً لها: لنرحل.



Twitter: @ketab_n

توقفت ليلى ولم تعد تتحرك.

ما الذي حدث لك يا امرأة؟

اقتربت المرأة من أحد الأجساد، تأملت الوجه ـ بدون أسنان ـ أغلقت له عينيه وتخضبت رائحة عفونته. قامت بالأمر نفسه مع الآخرين.

لم يخفِ الجنيّ قرفه من ذلك.

حين انتهت ـ وكان الليل قد حل ـ تمتمت بالقول: يا رب العالم، لتبقى آلامهم محفورة في آلامي.



Twitter: @ketab_n

# يكفي

ذات ليلة، قالت لي آنا فجأة ـ أو بالأحرى قالت لنفسها: كفى. بعد العديد من السنوات، العديد من سنوات الألم العنيد. ربما بالغت في ذلك، دفعها إلى ذلك شعور بالعواطفية الرهيبة، لكن ولا أي مرة بدت لي حنونة بهذا الشكل، بهذا الجمال.

قامت بتنظيف كلّ شيء، أفرغت الأدراج، صممت أن تهدي مجموعتها من الأراجيل، كلّ الحشيش، كلّ المشروبات الروحية التي بقيت عندها. لم تتأثر لا بذنبها ولا بابتزازي؛ لقد فعلت ذلك من أجل نفسها.

البارحة، ذهبت لمشاهدة واحدة من مجموعات الدعم، قالت.

لم أجرؤ على التفوه بكلمة.

بهذه الطريقة بدأت بعلاجها. شعرت بنفسي مجروحة، لأن الأمر عبّر عن انتصارها هي، لا عن انتصاري.



Twitter: @ketab_n

# سفراء

نظرا لتحريض أصدقائي الدبلوماسيين، الحذرين على الدوام، دعاني وزير الخارجية الجديد إلى إلقاء كلمة خلال حفل الغداء السنوي المقام للسفراء. لا أعرف لمَ قام بذلك: لقد كان دائماً مدافعاً متحمساً عن سياسة جارنا الشمالي الحربية، إذ جاهد أن لا يخالفها أبداً. كان شخصاً نحيفاً وخنوعاً ـ فظاً ومغتراً بنفسه مثلما يبدو ـ بيد أنه لا يتنازل مطلقاً عن تصرفاته اللذيذة؛ إنه أفعى بربطة عنق.

طيلة مسيرتي العملية، لم أظهر نفسي يوماً عنيفا إلى هذه الدرجة. وبخت راعي البقر المتخلف عقلياً وأصدقاءه النفطيين، بريطانيا العظمى والكواسر الآخرين، النشطاء الذين يشعرون باللذة وهم يعتبرون، الله، سبب كلّ المصائب، تصلب الأمم المتحدة، سياسة الحكومة المكسيكية الخارجية كما سياستها العمالية الفظة، بالإضافة، بالطبع، لهذه الأفعى ذات ربطة العنق الذي دعاني بلطف.



Twitter: @ketab_n

ومن ثم ساد الصمت. علا بعض التصفيق المعزول كما بعض الضحكات: إنهم أصدقائي الذي عبّروا عن رضاهم بكونهم مخربين محترفين.

ولم أجرؤ حتى عن الحديث عن ليلى.


Twitter: @ketab_n

# شبكة عنكبوت

الله هو شبكة عنكبوت. ما إن تدمر هذه الشبكة، لا يتبقى منها أي خيط، ولا حتى الأرفع من بينها، يمكن التعلق به. أغمي على الإله المقبل، ونعلم جيداً إلى أي درجة، أن نحب أنفسنا، هو عمل تافه.


Twitter: @ketab_n

# انتقام

تكونت تربيتي العاطفية في مرحلة متأخرة، عبر فشل متتابع. فالمزج ما بين ثانوية خاصة بالصبيان وما بين خجل عنيد، أبعدني عن النساء لغاية أن اصبحت في العشرين من عمري. قبل تلك المرحلة، لم تكن موجودات بنظري، أو لم تكن بالنسبة إليّ سوى أوهام، مخلوقات غريبة ذات عجيزة ناتئة.

في الجامعة، وقعت في حب أول امرأة حدثتني عن ماركس. كانت تكبرني بسنة، وكانت أيضاً في كلية العلوم السياسية. امرأة طموحة، كئيبة، لذلك لم يكن بإمكانها إلا أن تسيطر عليّ، إذ تزعجها أقل الأشياء، تعاني، واكتشفت متعة أن أعزيها. لم أجعلها تتعرف أبداً على إحساسي بالتفوق، ولم أقترب من شفتيها بتاتاً. اكتفيت بأن أكون كاتم أسرارها. وبعد أشهر قليلة، أزفت لي خبر خطوبتها من أعزّ أصدقائي.

لم يفدني هذا الأمر بأي درس: استبدلتها بفتاة كبيرة غريبة الأطوار قليلاً كانت تمتهن الرقص. وبعناد مراهق، حملت إلى التسلط الأعلى الرعونة التي قمت ببرهنتها. لم نعد نفترق بتاتاً. فهذه



Twitter: @ketab_n

المرأة القدرية ذات النهدين الأشبه بنهدي طفلة كانت تعدد أمامي أسماء الذين مارسوا الجنس معها.

حتى هي لم أعترف لها بسرّي.

تركها والدها المدمن على الكحول ـ وهذا موضوع يحتمل عدة تفسيرات لا متناهية ـ وكنت أرأف بشقائها. أهديتها كلّ ما كنت أملكه: النصائح، المال، روحي، كي تستطيع أن تسدد دينها لي فيما بعد كمرابي. وذات يوم أعادت لي عاطفتي بأسرها.

ومن دون أي تحذير، طلبت مني بنبرة قاطعة بأن أتوقف عن ملاحقتها عبر مراقبتي الدائمة لها. لديك حياتك ولدي حياتي.

شعرت بفورة غضب، بكيت، وصممت على ملاحقتها إلى المسارح، صالات سينما الفن والتجربة. انتظرتها لغاية الفجر أمام مبنى البناية التي تعيش فيها مع أختها؛ وحين خرجت، وكان يبدو عليها أثر الاحتفال، رمتني لو أني كنت شخصاً حقيرا.

ما من شيء بيننا، أتسمعني؟

وبعد عدة سنوات ـ وبينما كنت اشعر بالسأم في أتالانتا ـ وصلتني رسالة منها. أنا آسفة. لا أعرف لـمَ تصرفت معك بهذه الطريقة. أحبك أنا أيضاً.

لقد فات الوقت: من بعدها. كنت بدأت مرحلة الانتقام؛ نظام دفاع صبياني، لم أتخل عنه أبداً من وقتها.


Twitter: @ketab_n

# تشابه

قبل عدة أسابيع، تم توقيف أبي وشقيقتي من قبل بعض رجال المخابرات، الذين نقلوهما في سيارة ليموزين سوداء محاطة بعشرة دراجات نارية. الجميع، في الحيّ، يعرفون أن أبي كان رجلاً ورعاً لا شبيه له؛ كان رجلاً قديساً. ربطوه على كرسي وحلقوا له ذقنه (أتعس ما يمكن له أن يحصل لرجل مؤمن). من ثم أجبروه على رؤية كيف كانوا ينزعون ملابس ابنته ويهتكونها، لغاية أن تنساب الدماء منها، ويذلونها ويصفونها بالكلب والعاهرة. لم يقل أبي شيئاً. لقد غرس هؤلاء الزنادقة الشوك في عينيه. لقد رفسوا خصيتيه بأقدامهم. مزقوا له صدره بالحديد المحمى. جلدوه بالسياط لغاية أن فقد وعيه. وأخيرا، وبعد ساعات لا متناهية من التوسل، قاموا بذبحه. وكما لو أن الأمر لم يكن كافياً، قاموا بإحراق جثته.

استمعت ليلى لقصة الحاج وهي تبكي. بصق الجني ثلاث بصقات على الرمل. أن يستطيع إنسان القيام بذلك مع إنسان آخر فهذا دليل ساطع على أن أي شبه بينهم ليس سوى ضلال مبين.



Twitter: @ketab_n

# ألـم

هل من ألم آخر غير الذي نعرفه.



Twitter: @ketab_n

# صدى

لنلخّص الأمر بهدوء.

ولدنا محكومين.

ولكي يخلصنا، لم يرسل لنا الله ـ ليتمجد اسمه ـ أقل من ابنه.

وبدلا من أن نغطيه بالمدائح، عذبناه ودفعنا به إلى الموت.

صدى مبك في الصحراء.



Twitter: @ketab_n

# العدو

خلال الأسابيع الأولى، كنّا مليئين بالأمل. كانت آنا تذهب إلى حضور الاجتماعات لتوضح إستراتيجيتها كي تحظى بالنصر على نفسها. تعود لتظهر في المساء، مليئة بالحيوية، مشعة. المستقبل غير موجود بالنسبة إليها؛ لم تكن سوى الساعات الأربع والعشرين الأخيرة التي تمثل لها الطمأنينة والمنطق. ترى أن نهاية مغامرتها أمر من المتعذر التحكم به.

أن لا أخون قسمها في أن لا أشي بما كان يحدث في اجتماعاتها كان أمراً يسحرها: تروي أقاصيص تستمر للفجر، تتذكر فيها رفاقها لتُفرد أمامي الجوانب المعتمة من شخصياتهم.

كانت هناك الفتاة ذات الأربعة عشرة سنة المدمنة على الهيروويين. سيدة المجتمع المخملي المحشوة بالحبوب المهدئة. محامي شركة كبرى المصاب بانهيار عصبي حاد. السكرتيرتان الباحثتان عن عواطف جيّاشة، منظر الفيزياء الذي يتعاطى الميسكالين. مديرة روضة أطفال وجامعيان هاذيان.

كانت تجعل من أحاديثها نوعا من «ساغا». وبينما كنّا نُقشر



Twitter: @ketab_n

مشكلاتها بدقة جراحية، تنبجس شخصياتها من حفلات تعريها الشفائية لتلحقهم آنا بعائلتنا الخيالية.

إنه الله ـ ليتمجد اسمه ـ الذي دمّر هذه الهرمونيا.

وفق آنا، على كلّ أعضاء مجموعتها أن يخضعوا لقوة أعلى: إننا ضعفاء ولن نتمكن من الخلاص إلا بمساعدته.

لغاية تلك اللحظة، كانت آنا شخصاً ملحداً وفجأة وهبت نفسها لكائن تجهل طبيعته المتقلبة الأطوار والعبثية. خلال كلّ الأسابيع التي تركت فيها نفسها عرضة للدموع والجنون كنت عزاءها الوحيد. لن أسمح له بهيمنته المطلقة العاصفة، أن يستفيد من الأمر بدلا مني.



Twitter: @ketab_n

# منفى

في دائرة الغابات والتلال، كلّ صباح يشبه الصباح الذي سبقه.

أستيقظ متعبا، أتدثر بوسادتي، أتشدق لساعتين بدكتاتوريي أميركا الجنوبية، آكل سندويشاً نباتياً، وأضيف ثلاثة أسطر على ورقة كريهة.

إنها العودة الأبدية، أو بتعبير أدق، السأم الأبدي. واحة وسط الحروب. وفيما وراء ذلك، في البعيد، عالم أحلام الخُلد الجامعي.

خمسة عشر سنة من المنفى، بعيداً لا عن وطني وإنما عن باقي الناس. نسيت أنه يمكن لنا أن ننظر إلى أحد في عينيه.



Twitter: @ketab_n

## مرايا

كريهة هي المرايا، لأنها بالكاد يمكن لها أن تميز وجوهنا من وجوه الآخرين.



Twitter: @ketab_n

# حوار

أعلينا حقاً أن نؤمن كي نُشفى؟

عليّ أن أتقبل ضعفي: لن أنجح بذلك وحدي.

وإن كان الله غير موجود؟

حين نرغب حقاً في أن يتم إنقاذنا، فالله موجود.

إذاً، الأمر استعارة.

آمن بما يعجبك.

آنا، أن نتحلى بالصحة، لا علاقة لذلك بالإيمان، بل بالإرادة.

أتشعر بغيرة من الله؟ إنه أمر يُرثى له.



Twitter: @ketab_n

# أشقاء

١

تتساقط القذائف كالرطب الناضج، إلا أن ليلى لا تتوقف أبداً. لم تؤخرها، لا ندوب قدميها ولا حروق وجهها. قال لها الجنّي إن إخوتها يختبئون في بغداد.

في الملجأ؟

يستشير شيطان الصحراء الكواكب ولا يتمكن من تأكيد هذا الخبر: يمكن لهم أن يكونوا بحماية أحد الشيوخ، أم أنهم يقرفصون كالكلاب في زنزانة، أم أنهم يحضرون بدقة لسيارة مفخخة.

بالنسبة إلى ليلى، ما يهمها، أن يكونوا على قيد الحياة.



Twitter: @ketab_n

# أوهام

المذبحة في الشرق هي نتاج التقاء الأوهام.

ليأمر الله جيوشه.

لينتصر الإيمان على الضحايا.



Twitter: @ketab_n

# جنّة

يُسأل النبي - صلى الله عليه وسلّم - إن كان أهل الجنّة يمارسون الحب. يجيب: يفعل ذلك من كانت روحي في يده، فنجد أن عضوه يدك، بدون كلل، ومن دون أن ينزف المهبل ومن دون أن تكلّ الرغبة.



Twitter: @ketab_n

# نافذة

لغرفتي نافذة نرى منها حديقة صغيرة ـ مساحتها متران مربعان ـ كان والدي يهتم بها يوم الأحد. كنت أراقبه يعمل عبر الزجاج حين كان الربو يخنق رئتيّ: العشب مقطوع، وكان تناسق الأشجار أفضل علاج لأمراضي.

كما في نهاية كلّ أسبوع، كنت أذهب لتناول طعام الغذاء عند أهلي. وفي نهاية الباحة، اكتشفت غابة منمنمة: أدغال شعثة، جذور ظاهرة، لبلاب يجتاح كلّ شيء، أوراق نهشها البزّاق، ورود ذابلة.



Twitter: @ketab_n

# صوفيا

وسمت العديد من المصادفات علاقتي الوعرة مع صوفيا. التقينا خلال مؤتمر في «رود أيلاند»، وهي جزيرة ليست بجزيرة، في اللحظة التي كانت تنوي أن تقدم فيها دبلومها في العلاقات الدولية، وأن تقدم «ورقة» تتضمن تقريباً، الحجج عينها التي كنت أتفوه بها في قاعة مجاورة.

في نهاية إحدى الوجبات الرسمية، عرضت عليها أن نقوم بجولة. ما من هرّ في الشارع يمرّ بعد الثامنة مساء، قالت لي بسخرية. ومع ذلك خرجنا لنقم بجولة بين الظلال.

كانت في الثالثة والعشرين من عمرها. في غرفتي، حيث كانت تدخن، عارية، أفرغت كلّ القناني الصغيرة الموجودة في «الميني بار»، وفندت بلغة انكليزية لا غبار عليها، كل طروحات فيورباخ والأسباب التي دفعته إلى الانتحار.

عدنا والتقينا ثماني أو تسع مرات في باريس وكامبردج وكوبنهاغن. نادرا ما التقيت برغبات متناقضة كرغباتنا ـ إذ كلّ قرار



Twitter: @ketab_n

نتخذه كان ثمرة نقاش عنيف ـ، بيد أن رائحة جسدها وفكرة أن أستمع إليها فقط كان أمراً يقلبني رأسا على عقب.

حين تشرب، لا تعد هي نفسها: يصبح خجلها نوعا من الجفاء، ومن ثم حزن لا يمكن احتواؤه. وبما أني أعي إخفاقاتي الداخلية، اجتهدت بأن لا أقدم لها العون.

ذات ليلة في فيلادلفيا، قالت لي إنها تحبني. تظاهرت بأني أصم من جراء الموسيقى ولم أسمعها. مذ ذاك، تجنبتني، وحين لم يكن باستطاعتها أن تقوم بأمر آخر ـ إذ لم أتوقف عن مهاتفتها ـ نعتتني بالأعمى والجبان.

تزوجت من شخص كنت أعرفه، أرجعت لي رسائلي والكتب التي وقعتها لها. كنّا نلتقي في اجتماعات، في الشارع، في أمكنة لا تخطر على البال، وكان يصعب علينا أن نتبادل القبل.

قبل أسبوع، عدت ورأيتها في معرض وهي برفقة زوجها. حيتني بغبطة فجائية. دعوتهما إلى المجيء لتناول كأس في منزلي، تحدثنا لغاية الصباح وحين افترقنا، داعبت خدي بهدوء.

البارحة، تعرضت لحادث وماتت بعده بساعات. لا أتوقف عن أن أسأل نفسي ما عنته لي في حياتي؛ أو ما عنيته لها في حياتها. رائحة جسدها وصمتي، في فيلادلفيا لا يزالا يطيحا بي أرضاً.



Twitter: @ketab_n

## أقنعة

في بلدك، الناس لا يقولون الحقيقة مطلقاً. بالنسبة إلى هيلين، وهي فرنسية ذات روح حادة مثل شفرة ـ وتعمل أستاذة الآداب الحديثة في جامع كورنيل ـ هذا ما كانت عليه الطباع التي تحدد الإنسان المكسيكي. إنهم يكذبون بدون توقف، حتى أنهم لا ينتبهون إلى ذلك، وكأن الأمر من أجل المتعة.

وكما دائماً، كانت هيلين على صواب: إننا نهرب، بمبالغة ـ كدمى ـ بمنأى عن أقنعتنا التي من جِلباب (مثلما كان يقول أوكتافيو باث). نشذب أفكارنا، لدرجة أن التواضع يصبح بالنسبة إلينا الشكل الأقصى للريبة.

يحددني رأي هيلين. أنا شخص قاس ومتوحش في قرارة نفسي، حين أصمت، ومهذب ومعتدل حين أتكلم.


Twitter: @ketab_n

# سي. أن. أن

رجل يضع قلنسوة على رأسه يقطع رأس رجل آخر، رجل على قيد الحياة، وعلى الهواء مباشرة.

ننظر إليه، نشاهده.

ولا نتوقف عن مشاهدته.



Twitter: @ketab_n

# مراهقة

مراهقتك في وسط ذكوري سببت لك أذى لا يمكن إصلاحه، تقول آنا بعد أن مارسنا الحب. لا تعشش الجنّة في جسد المرأة. إن استمريت بهذه الطريقة، سينتهي بك الأمر بتدميرنا.



Twitter: @ketab_n

# إنقاذ

وجدتها ممدّدة على السرير كما لو أنها كانت نائمة. بطمأنينة. ما من شيء درامي كالذي نجده في المسلسلات: ما من قارورة فارغة على السجادة، وما من شفرة حلاقة على مغسلة الحمّام.

تركت الدموع أخدوداً لامعاً على وجنتيها. أمسكت رأسها بين ذراعيّ وهدهدتها لساعات. ربما استيقظت في جميع الأحوال. بالنسبة إليها ـ ومن أجل الأجيال اللاحقة ـ أنا من جلب لها كلّ هذا السوء.

إنها البداية الحقيقية لقصتنا. لطريقنا الملتوي الذي يقود إلى الوداع.



Twitter: @ketab_n

# شبق

لو كنت أصرف وقتا على الشفقة مثلما أصرفه على الشبق.



Twitter: @ketab_n

# غرباء

وجدتهم، كي تقول بذلك، إنهم مسالمون: يحملون أشياء من هنا وهناك ـ صناديق ألمنيوم، راديوهات، حقائب ظهر ـ تحت أنوار الصحراء، غير معنيين بدهشة الذين ينظرون إليهم. ليست لديهم عيون: خوذات صفراء تحمي وجوههم؛ ذكروا ليلى بالإنسان الآلي كما يظهر في ألعاب الفيديو اليابانية.

أهم منتقمون؟ مبشرون؟ كشافة يقومون بواجبهم بالرغم عنهم؟

على الرغم من أن دبابات مستعدة للهجوم كانت تسد الشارع، إلا أن ليلى دفعت الجنّي كي يستمر في التقدم. وما كان عليه إلا أن يصغر نفسه كحبة عدس وليدخل إلى جرابه.

شقت ليلى طريقا لغاية حاجز التفتيش فظهر لها جسد عملاق ليقف عليها الطريق.

قبل أن يتمكن الجنّي من حمايتها، أمسك بها المجتاح من كتفيها، وبكل رهافة ذراعيه الضخمتين، رمى بها أرضاً.

همهم الحشد: لقد دنس كلب الكافر جسد أرملة.



Twitter: @ketab_n

شهر المقاتل سلاحه.

دعني أمرّ، قالت ليلى بإنكليزية لا غبار عليه. ـ لم يخف الرجل مفاجأته ـ أشقائي في بغداد. علي أن ألحق بهم.

تراجعي! لم يكن هناك غضب في صرخة الغريب، بالكاد تجد قسوة فيها.

لن أتحرك من هنا قبل أن تسمح لي بالمرور، أجابته.

جلست ليلى على بعض الأحجار. أخرجت نايها وعزفت لحنا بسيطا.



Twitter: @ketab_n

# بحث

البحث عن آنا. منذ أن عدت إلى بلادي، بلاد بنات آوى والأشباح، لم تتوقف هذه الفكرة عن تعذيبي. أكذب: إنها تعذبني منذ خمسة عشر سنة.

ذكرى نظرتها تكفنني بين الشراشف.



Twitter: @ketab_n

# طباع

قبل عشر سنوات، كان والدي رمز الإرادة والشجاعة. في صغري، كان درعي. لم يتورع عن القتل بيديه كي يحمينا، متأكد أنا من ذلك. كان يربط القوة بالإرادة، هذا إن لم يكن ذلك يشكل أمراً واحدا.

أذكر ذاك اليوم الذي تعارك فيه مع لصوص، في كولونيا دو لوس دكتورس. كان في الستين من عمره. في آخر لحظة، تمّ إنقاذه من قبل الشرطة، بينما كان أحد أولئك اللصوص يشد على خناقه. لم يكن الخوف يشكل جزءا من مزاجه، وهذا على العكس من والدتي.

ذات يوم، شعر أنه تحطم. بعد أن وصل إلى عمر التقاعد، توقف عن الاعتقاد بأنه شخص نافع. استمر في التعارك مع أخي، وهي لعبة كان يعشقها. تخونه ساقاه أحياناً. كلّ ذلك ولا يزال ثمة شعور بالفراغ ـ بدون معنى أو منطق ـ يصيب هذا الهلاك الذي يغطي كلمة «طباعه».

شكلت السعادة بالنسبة إليه دائماً نوعا من فتوحات، وقد توقف



Twitter: @ketab_n

عن البحث عنها. أهمل الاستماع إلى الموسيقى، الكتب، شغفه. حتى أنه تجنب الناس والشوارع. ما من وسيلة لإخراجه من ذلك. المزاج الذي كان يعطيه الاندفاع، كبّله في الحاضر. لا وسيلة في الاعتراض على اقتناعه المحموم بأن لا يقوم بأي شيء.

ثمة آلهة مختلفة ترأست قدر أمي: يمكن لها بشكل طبيعي أن تكون سعيدة من دون أن تطرح الأسئلة. حاليا، هي من يسهر عليه وتستمع إلى شكواه. في كلّ مرة أذهب فيها لرؤيتهما، يكبلني هذا التناقض.



Twitter: @ketab_n

# غربٌ

الغرب مهدد. حضارتنا وقيمنا في خطر.

خلاصة التاجر والنبي.



Twitter: @ketab_n

# أيلول

كنت أبحث في علبة بريدي الإلكترونية ـ وأنا في غرفتي الصغيرة في إيموري، التي تقيني من الساعات ـ حين تلقيت اتصالاً مجنوناً من أحد الزملاء. تأكدت من دقة الخبر على الانترنت، حيث كانت تتراقص الأنباء الأولية، فركضت إلى غرفة الأساتذة.

هناك، استطعت متابعة خط سير الطائرة الثانية لأرى انهيار الزجاج والباطون، غير المعقولة.

لم أشعر لا بالسعادة ولا بالحزن. ليس مثل الغضب الذي استولى على زملائي. لا شيء سوى قفزة ضبابية وهذه الرغبة في رواية ذلك إلى أحد مواطنيّ.



Twitter: @ketab_n

# احتلال

بعد الحادثة، لازمت آنّا كظلها.

كنت أربت على يديها، وأثمن جمالها الذابل، وأحارب سأمها ممازحا إياه بإخبارها عن خيانات أصدقائي وحماقاتهم.

أجبرتها على مشاهدة الأخبار وعلى ردة الفعل ضد التفاهات التي كان يرويها المرشحون.

طردتُ ندمها.

أعدتُ لها ابتسامتها.

وهكذا، وبدون أن تنتبه لذلك، أسرت ثقتها.



Twitter: @ketab_n

# كتاب

أديان الكتاب تُجِلُ الأخطاء أيضاً.


Twitter: @ketab_n

# النحو

حين يموت أهلي ـ وإن بالكاد استطعت كتابة ذلك ـ سيُحرم العالم من النحو.



Twitter: @ketab_n

# النادم

كانت السيدة بيلار هادئة وجميلة؛ امرأة مثالية لتكون السبب في استيهام أصدقائي. شعرها مصفوف بعناية، يسقط على ياقة ثوبها وكأنه حجاب.

الآباء الذين يشرفون على تربيتنا ـ كنت في صف الأول إعدادي ـ وجدوا أنه من الحداثة والشجاعة أن يسمحوا لأرملة كاثوليكية بأن تعلمنا الأمور العائدة للجنس، إذ أن نضجها سينتصر على جهل التلاميذ وذكوريتهم.

كنت أعشقها. ألمها وحزمها يجعلان منها، بنظري، شهيدة. رسمت لها صورة المسيح، مسيح ذاو ونازف، وأهديتها إياه أمام جميع من في الصف.

أعتقد أني كنت مغروماً بالسيدة بيلار.

وبعد أن شرحت لنا طهارة العذراء وسرة الملائكة، وصلت إلى الموضوع الوحيد الذي كان يهمنا حقاً. قالت لنا، بعظمة الإيمان،



Twitter: @ketab_n

إن ممارسة العادة السرية يشكل خطيئة عظيمة. إذ أننا في ذلك، نقتل آلاف الأطفال.

هذا ما قالته لنا، بدون أن نشكك في كلامها.

لم يكن في الأمر ما يدفع إلى الضحك: في ذلك اليوم، جعلت مني السيدة بيلار الناعمة، مجرما نادما إلى الأبد.



Twitter: @ketab_n

# طفل

أريد طفلاً، يا آنّا.

تحت جسدها النابض، اتخذت فعلاً القرار، أو ربما اعتقدت ذلك.

أو أني أشتهي أن أصدق ذلك.

أو أني لا أرغب في فقدانها.

أو أني أحبها.



Twitter: @ketab_n

# انحدار

كل أنواع الحب تنهار، تنهار كلها. يلتهمها الزمن كأسيد. يصبح وجهك لا قيمة له وينتهي به الأمر لأن يكون كريها. يعتاد البعض على هذا الرعب اليومي، وتكمن سعادتهم في إنكار ذلك. آخرون، وأنا منهم، يهربون ما إن تظهر أولى إشارات ذلك.



Twitter: @ketab_n

# متعة خبيثة

ثمة، بالطبع، احتمال آخر. يسميه الألمان ـ المتعلقون جداً بالهاوية ـ schadenfreude

المتعة الخبيثة.



Twitter: @ketab_n

# سلام

حين اقتربت ليلى أخيرا من أبواب العاصمة ـ هنا حيث الأراضي الشاسعة تتوه بين الأبنية المتهدمة ـ كانت الحرب انتهت.

هذا ما كان يردده، ليل نهار، الناطقون باسم البنتاغون. المقاومة الشرسة، التي وعد بها الكريه وخدامه ـ كما ذلك الوزير الذي يتوعد غاضباً على شاشة التلفاز بينما كان العدو يدخل إلى منطقته ـ لم تكن سوى تبجح جديد: لقد احتل الغرباء القصور والمكاتب وبالكاد أطلقوا بعض الرصاصات.

ومع ذلك، فمناصرو الطريقة القوية الذين وعدوا بنزهة كانوا مخطئين.

وكما في زمن المغول، كانت بغداد جثة تتنازع العقبان على بقاياها. لكن هذه المرة، كان المذنبون ـ الذي عاقب الشخص الأعلى هجومهم ـ هم أولادها أنفسهم.

وتحت نظرة الجنود غير المعنية بما يجري، المغترة بالانتصار،


Twitter: @ketab_n

جاء المئات من الشبان الذين لا يملكون أي إيمان أو ذاكرة، ليدمروا المدينة وليفرضوا حكم الغضب.

كسروا بلامبالاة الأسواق والمدارس والمستشفيات.

سرقوا المكتبات والمتاحف.

كسروا واجهات المحال وضربوا أصحابها.

قتلوا من كان يرغب في إيقافهم.

لم يتركوا حجرا على حجر.

هذا هو السلام الذي وعد به المنقذون.



Twitter: @ketab_n

# فاليريا

أعترف بأن فاليريا حذرتني منذ البداية: أحب رودريغو ولا أستطيع العيش من دونه. كان رودريغو قد بقي في البلاد، على بعد عدة ساعات من طيران إيثاكا، بينما هي، «تشد إبليس من ذيله» إذ تحضر لأطروحة حول الكنائس البيزنطية.

كان حبها لرودريغو يمنعها من شيء واحد: أن تترك أحداً يلجها. أما كلّ ما تبقى، فمسموح به بشكل أو بآخر. أشعرني هذا التحدي الذي فرضته هذه الفتاة بالإثارة، بأقراطها العائدة لعصر النهضة وبعبستها الطفولية ما كان يجعلها متناقضة بشكل كبير.

تم احترام القاعدة حرفيا. في رحلاتنا إلى الماين والفرمونت وكندا، كنّا نتقاسم السرير عينه، ونتحاضن، عاريين، لكن ما من مرة تخطينا الخطيئة الأصلية.

هل كنت أستمتع بهيمنتها عليّ؟ ربما لو حاولت في أن أقوض مقاومتها لانتهى بها الأمر بأن تقع في حبي ولاعترفت بأن رودريغو لم يكن له أي وجود أبداً. تعجرف صاف من قبلي.



Twitter: @ketab_n

على الرغم من أنها لا تتحدث مطلقاً عن نفسها، إلا أنني لم أتأخر في اكتشاف أن فاليريا كانت أبرمت عقوداً مماثلة مع بعض زملائي. ظاهرياً، كنّا جميعاً نحترم هذه الشروط. أُعجبت بسلطتها وشجاعتها.

أعتقد بأن الأمر انتهى بأن أعني شيئاً لها ـ أو أنها تكهنت بكربي ـ لأنها، بعد أن شاهدنا حفلاً موسيقياً في مونتريال، قالت لي إنه يجب علينا أن نفترق. كرهتها واكتشفت أن رائحة جلدها أصبحت بالنسبة إلي، أمراً ضروريا.

بعد ذلك بفترة قصيرة، علمت بأنها انفصلت عن رودريغو وبأنها تعيش حالياً مع كاتب سيناريو.

لا أعرف لماذا، إلا أن ذكراها لا تزال تثيرني.



Twitter: @ketab_n

# آخر

أن تكون مع شخص ما، فهذا معناه أنك تفكر دائماً بشخص آخر.


Twitter: @ketab_n

# اعتراف

حتى حين لم أكن بعد سوى طفل، حين كنت لا أزال أعتبر نفسي كاثوليكياً، لم أكن أستطيع تحمل قدسية الاعتراف.

أحدهم، في العتمة، يستمع إلى كلّ ما هو سيء في داخلك.

أحدهم، يمنحك العفو.

تركيز مكثف للسلطة والخيلاء.

خضعت إلى هذا الذل مرة واحدة، وما زلت نادما على ما قلته. لا أشعر بعذاب مماثل تجاه التحليل النفسي ولا أمام كلّ ما يشبهه. علينا أن نعرف كيف نضطلع بألمنا وبرغبتنا، وكيف نحتفظ بذلك لأنفسنا.

إني أناقض نفسي: فهذه الأسطر الخسيسة هي البرهان على ذلك.



Twitter: @ketab_n

# خطيئة

هل من خطيئة أقذر، أتعس، من القيام بشيء ما ـ أي شيء ـ كي تكسب الجنّة.



Twitter: @ketab_n

# ساهدة

ربما كانت الساعة الرابعة صباحاً، وآنا لا تتوقف عن الكلام.

تتحدث عن أبيها الذي تركها.

عن قلة اهتمامها بهذا الهجران.

عن الضربات التي تلقتها منه.

عن مرارة هذا الرجل.

عن الفراغ.

عن المشاجرات اليومية مع والدتها (تتصلان هاتفيا ببعضهما البعض عدة مرات في اليوم).

عن المآخذ التي توجهها لها والدتها.

عن حنان أمها.

عن الموت.

عن حياتها التي لا معنى لها وغير المكتملة.

عن بغضها للواجبات وللعمل.



Twitter: @ketab_n

عن عدم تحليها بالمثابرة والموهبة.

عن التجاعيد في زاويتي شفتيها.

عن الشيخوخة (كانت في السابعة والعشرين من عمرها)

عن نزق صديقاتها.

عن نزقها هي.

عن الله.

عن أبيها.

عن والدها الذي هجرها.

عن قلة الاهتمام الذي توليه لهذا الهجر.

عن الفراغ.

عن عناد والدتها.

عني أنا.

عن طبعي المتقلب والمتملص.

عن أقنعتي.

عن خوفها من قدرتي على تركها.

عن استقلاليتها.

عن الله.

عن المقالب التي سببها لها والدها.



Twitter: @ketab_n

عن خوفها من قدرتي على تركها.

عن رغبتها في أن تنجب طفلاً.

عن والدها.

عن والدتها.

عن رفضي لفكرة أن تنجب طفلاً.

عن الله.

عن الموت.

وهكذا دواليك، لغاية الفجر. بقيت ساهدة. لا يمكن كبحها.



Twitter: @ketab_n

# عدم اهتمام

كل شيء كان ضدي. لغاية أن أصبحت في الخامسة عشرة من عمري، عشت تحت سطوة خوف لا يمكن مقاومته ـ ذاك الخوف، المعدي، الذي كانت تنقله لي أمي ـ كما تحت سطوة خجل أشبه بنفق طويل. أقل الأشياء كان تتحول إلى مأساة: إسهال كلبي، أسطوانة مجروحة (بدأت في تلك الفترة بعشق السيمفونيات)، المآخذ التي كان يوجهها لي أخي، الانفلات أو الغيرة أو مزاج أصدقائي السيء.

ثمة يقينيات كبلتني: طلاق والدي الأكيد (بعد خمسين سنة من الزواج)، بؤس الآخرين وتعاستهم، استحالة فهمهم (لم أكن أرى سوى قضية عدم فهمي).

مثلي مثل كثيرين، فكرت بالانتحار ـ أفضل ترياق ضد الأرق، كما قرأت عند سيوران ـ وانهمكت بشهوانية في مستنقعاتي.

ولكي استحضر الفوضى والضغط اللذين كانا يُشتقان من ذلك، وضعت نصب عينيّ مثال سلوك ثابت. رتابة، رتابة خرقاء يتوجب عليّ عدم الخروج منها، إلا عن طريق الخطأ. كنت أرسم أبطالا



Twitter: @ketab_n

خارقين، بشكل مربع جداً، وكنت أحمي ألعابي هذه بحياتي. لعشر مرات في اليوم، كنت أتفقد الباب المفضي إلى الشارع عمّا إن كان محكم الإقفال، كي أتجنب هروب كلبي.

وأنا في الخامسة عشرة من عمري، وبينما كان نيتشه يجتاحني ـ وبينما كنت أفقد إيماني أيضاً ـ قررت أن أكفر بهذا القلق؛ إذ اكتشفت أنني لم أعد أطيق الحال التي أنا عليها.

تفاجأ أصدقائي بهذا الوضوح الظاهر لصديقي الجديد؛ في حين كان يثير فيّ الخوف.

مع الوقت، طردت بعضاً مما كان يسبب لي الخوف، خففت ثقل حملي. ولكي أنجح في ذلك، توجب عليّ استبدال ذلك بحساسية قصوى من اللامبالاة الصافية. وحالياً، هناك القليل من الأشياء التي تجعلني أتألم أو التي تؤثر بي، إن لم تكن تلك الأشياء التي أعتبرها جديرة بالاهتمام أو أشياء أليمة.

يبدو لي أن هذا الجهد كان يستحق العناء. الثمن الذي توجب دفعه عدم الاهتمام الحقيقي بالآخرين.


Twitter: @ketab_n

# ماريانا

ولأخالف حب والديّ لكل ما هو فرنسي، اخترت الألمانية. بيد أنني، حين بلغت الثامنة عشرة، وكنت أكثر نضجا، فهمت أن الفرنسية كان يمكن لها أن تشكل بالنسبة إليّ انطلاقة أقل مشقة.

خلال الدرس الأول ظهرت فتاة شابة في الخامسة عشرة من عمرها كي تسحرني بينما كنّا نتعلم التمييز بين فعلي «الامتلاك» (avoir) و«الكينونة» (etre). فتاة فضولية وجسورة، ذات بشرة مشرقة جداً وعينين بلون البندق، وقد أصبحت بالنسبة إليّ المثال الذي يجب أن يقودني ـ لاحقاً ـ في كلّ فتوحاتي.

عدا ذلك، كانت ماريانا يهودية وقد فتحت أمامي عالما مختلفاً.

اعتدت أن أرافقها إلى منزلها بعد انتهاء الحصة الدراسية، وكانت يداي دبقتين دائماً. كانت تحاصرني بالأسئلة، وهي واعية للقلق الذي تسببه لي، وكنت أجيبها باستشهادات وأنا أتمتمها.

بعد تفكير عميق، تجرأت على مداعبة ظهرها. تخلصتُ من خجلي كما لو أنها كانت تطرد ذبابة.


Twitter: @ketab_n

أمضت سنة في الكيبوتز وعادت منه أكثر جمالا وصعبة المنال؛ لم أكن أستطيع الاقتراب من شخص لا يعرف كيف يحبني. لقد عاشت في اسرائيل «علاقة مرعبة»، مثلما شرحت ذلك في إحدى قصائدها الإيروسية التي كانت تكتبها في تلك الفترة.

شيئاً فشيئاً، ترسخ الرابط الذي يجمعنا. أصبحنا نعجب ببعضنا البعض وربما نخشى بضنا البعض. كانت المرأة الأولى التي اشتهيتها، اشتهيتها بتوحش.

كانت ماريانا تحب أن تظهر عريها وأفكارها. كلّ أصدقائي كانوا يرغبون فيها وقد انتصر واحد منهم ـ لسوء حظي ـ على مقاومتها. إلا أنها أبعدته وهي تصرخ بأنه أجوف.

رأيت الكثير من الرجال وهم يسيرون على دربي، وقد حسدتهم كلهم. لكن بخلاف ذلك، لم تعرف ماريانا شيئاً عن النساء اللواتي التقيت بهن ولم تستطع أن تتكهن بأنهن يمتلكن كلهن شيئاً منها.

بعد أن تعبت من مرور الأسماء والأجساد ـ مرض نقلته لي بدون أن تنتبه ـ تخلت عن كلّ هذه الاغواءات وعن كلّ هذه المخاطر لتتزوج من الصبي اليهودي التي رغبت عائلته دائماً في اختيار شريك مناسب له. هل انتبهت لهذا الأمر؟ بالأحرى أعتقد أنها أرادت أن تختبر التمرد بالتمرد. أنجبت طفلين وهاجرت إلى


Twitter: @ketab_n

الطمأنينة التي لا ترحم لإحدى ضواحي نيويورك. وانتهى بها الأمر أن وجدت عشيقاً أكثر إخلاصاً لها من زوجها.

مضت أكثر من عشرين سنة على حصة اللغة الفرنسية الأولى، وخلال هذه السنوات العشرة الأخيرة، لم نلتق فيها أبداً. لقد تباعدت حياتانا اليوميتان كثيراً. لكن شهوتي فيها لا تزال كما هي.



Twitter: @ketab_n

# سلطة

أنفر من السُلطة وأكاذيبها ولا أفعل شيئاً سوى ترك نفسي لتُسحر بنتانتها. ترى آنا الأمور بشكل صائب: ذبابة مسحورة بالخراء.



Twitter: @ketab_n

# غزوة

ما علاقتي بإبليس، بليلى، بالجنّي وبعذاباتهم؟ لمَ أتركهم ينبثقون في حميمة الحياة غير المتوقعة، حين تمنحني إياها، لمرة واحدة؟



Twitter: @ketab_n

# رتابة

لون محارم المرحاض.

مطعم صيني أو إيطالي.

فيلم من سينما المؤلف أو لجوليا روبرتس.

هناك الكثير من الشمس هنا، لنذهب إلى الظلّ.

ليس عظيماً، طبقك الذي من خضار.

انتبه إلى مكان فراشي الأسنان في صالة الحمّام.

مرّ من هذا المكان أو من آخر.

استدر هنا!

هل نسيت!

مطر لعين.

لم توضب سروالك مرة أخرى.

ألم تضجر بعد من باخ ومن الأوبرا؟

قف بالصف.



Twitter: @ketab_n

تناول فطورك أو اذهب واشتري الحوائج.

تأخرت مرة أخرى.

نتناول العشاء مع أصدقائك أم مع أصدقائي؟

لا أشعر بأي شيء مطلقاً.

أنت شخص لا يحتمل!

حربنا العبثية اليومية.



Twitter: @ketab_n

# إرادات

مثلها مثل الأجساد، لا يمكن للإرادات أن تحتل مكاناً أكبر في الفضاء.



Twitter: @ketab_n

# توعك

استيقظت وشعرت فجأة بتوعك يسيطر عليّ. أحسست بأن سرير آنّا وشراشفها المرتبة جداً وحرارة جسدها بأنها أصبحت فجأة غريبة عليّ بشكل كامل. خلال الليل، ضحكنا كما لم نضحك من قبل وشعرنا بالمتعة قبل أن نغفو.

لمّ قلة الصبر هذه فجأة؟

نظرت إلى بشرتها ـ كانت عارية في أضواء الفجر الأولى ـ، انزلقت نظرتي على طول ظهرها، فشعرت فجأة بالرغبة في الرحيل، في أن أكون بمكان آخر، لا يهم أين، لكن في أبعد مكان ممكن.

شعرت بالقلق يجتاحني بأسري.

استيقظت آنّا عند الظهيرة، شعرت بالخجل من نفسي، فتظاهرت بأن لدي موعد عمل.



Twitter: @ketab_n

# قانون

أن تحب شخصاً، معناه أن لا تحبه شيئاً فشيئاً. هذا هو القانون المعتم الذي أدرجته.



Twitter: @ketab_n

# حضارات

وعد النبي ـ عليه السلام ـ مريديه بجنة يتمتعون فيها، وإلى الأبد، بالمتع الجسدية.

جنّة المسيحيين، على خلاف ذلك، هي جنّة صافية ولا قيمة لها: نور وتبتل دائمان.

صدام حضارات.



Twitter: @ketab_n

# هنيهة

يُروى ـ والله وحده أعلم ما في داخل مخلوقاته ـ أن ليلى شعرت بالشك لهنيهة.

تعرفت على الطريق المؤدي إلى بغداد وفكرت بأن تقوم بنصف استدارة.

كي تذهب لتختبئ في الغابة وفي الليل.

كي تواري ألمها مثلما فعل جيرانها.

كي تترك نفسها تُهزم أمام الخوف وأمام هذه القوة الحمقاء التي تدعى الحياة.

هنيهة، بالكاد.



Twitter: @ketab_n

# مفقودة

استيقظت آنّا باكراً جداً هذا الصباح. نامي قليلاً بعد، ألححت عليها. إنه يوم الأحد. لكنها فضلت أن تذهب لشراء الخبز والصحف. هذا ما قالته لي.

مرت فترة بعد الظهر ولم تكن قد عادت بعد. اتصلت بأمها وصديقاتها ـ اللواتي لم يجعلنني ارتاح ـ لم يسمعن بأخبار جديدة عنها. اخترعت ألف قصة كي أبعد فكرة السوء عني ووعدت نفسي بأنها إن لم تعد في الساعة الثامنة فسأبلغ الشرطة. عند ذاك دخلت آنّا، ما بعد السابعة مساء.

أعتذر، قالت لي وهي تدخل، لم أجد الطريق.

سقطت الغضب الذي ارتفع داخلي من جراء هذا العذر الذي لا يصدق، ما إن رأيت الرعب في عينيها.



Twitter: @ketab_n

# وليد

الجدران عينها، النتانة نفسها، الدم ذاته. ما الذي تغيّر في الأمر؟ مسح دموعه التي وجدت وقتا كافيا كي تجف. أحمق. لِمَ لَم يفجر نفسه أمام نقطة المراقبة كما فعل رفاقه كلهم؟ عليه الآن أن يتلهى في هذه الحديقة بدلا من أن يتلوى في هذا السماد.

خانته ساقاه ولم يتأخر المجتاحون في السيطرة عليه. أجبروه على أن يركع على ركبتيه أمامهم، أوثقوه مثل جديّ وأدخلوه في هذه الحفرة. الحفرة التي مات فيها العديد من الرجال.

لا يمكن لوليد أن ينسى أعضاء السجناء الآخرين اللدنة، صنارات الكلاب الليّنة ـ ولا لمعان جنازيرها ـ وذلّ آثار عضاتها. أنزلوه أيضاً في هرم اللحم الذي نصبوه كي يتسلوا.

ضحكت امرأة شابة.

يبدو عليها أنها في العشرين من عمرها ـ كانت ثيابها العسكرية تجعلها قبيحة ـ ممّا كانت تسخر وهي تضحك عالياً؟ من هؤلاء الرجال الذين لا يقوون على الدفاع عن أنفسهم؟ من أعضائهم



Twitter: @ketab_n

التناسلية المترهلة؟ من خوفهم؟ ومن ثم جاء المزاح ـ كان وليد يفهم لغتهم ـ ولمعان الضوء العائد لضربات السياط.

أجساد تسخر من أجساد أخرى. لا شيء عند بعضها. لا شيء عند بعضها الآخر.

الرسغ، المعصم، الأحشاء، لا زالت تحرقهم. إن لم يهشم وليد رأسه على الحائط فذلك بسببها.

بسبب ليلى.



Twitter: @ketab_n

# لعبة

تتسلى المرأة كثيراً. تسن القوانين وتسرّ حين تضع البيادق. أنت هنا. أنت هنا في الأعلى. تغطي قهقهاتها على صرير أسنانها. حتى ولو كانت ساذجة، أو طفلة، تشعر بالفخر من نفسها، إذ تطلب أن يلتقطوا لها الصور مع ألعابها.

كانت مجرد لعبة، شرحت فيما بعد، وهي تعبس بوجه خصومها.


Twitter: @ketab_n

# اعتذارات

حاولت البحث عن شتى أنواع الاعتذارات: مزاجها الذي لا يمكن ترويضه كما نزواتها، الكبت الفجائي لأحاسيسها، قلقها من الحاضر والمستقبل. أضف إلى ذلك دموعها كما غضبها، اللذين ينبجسان فجأة. عدم تفهمها، حين تقف أمام صمتي، الواضح مع ذلك.

كما لو أن آنا تتكهن بهذياناتي، مهووسة بهذياناتها، مثلما كانت عليه، مثلما نحن عليه كلنا.

مبتعدة من جراء أحكامي، انتهى بها الأمر بأن تسألني: أما زلت تحبني؟ الدهشة التي أظهرتها أمام رعشتي ـ أمام غيابي ـ جرحتني مثل إهانة. بالتأكيد لا زلت أحبها. لكن العيش معها أصبح أمراً مستحيلا.


Twitter: @ketab_n

# جسد

أنتزع نفسي من جسد آنا، وأنظر إليه، بعد فوات الأوان، مثلما ننظر إلى أي صورة من صور الصحف.



Twitter: @ketab_n

## آنا

الأمر سهل جداً. أنا المجنونة، المضطربة، التي لا تروض. رغبت دائماً في أن أكون على هذه الحال؛ ما من شيء كان يمكن له أن يقنعك. هل سألت نفسك مرة فيما لو كانت وجهة نظرك صائبة؟ ألست أنت، الذي لا عيب فيه، الرصين، من ينكسر؟ لِمَ أنا، لماذا أنا دائما؟ أرى جيداً كلّ هذا الازدراء الموجود في ملامستك؛ أتظن أني لا أشعر بهذه الشفقة على أطراف أصابعك، بهذا الدوار، بهذه الفوضى التي أسببها لك. ألا تشك أبداً في نفسك؟ ألا تسال نفسك أبداً عمّا إذا كنت في طور فقدان رشدي؟ هل هناك، داخلك، أي مكان صغير للكارثة؟ إن أردت أن يكون الأمر بهذا الشكل، فليكن على راحتك: أنا المجنونة، المضطربة، التي لا تروض. لكن أنت، لا تملك أي عقل.



Twitter: @ketab_n

# معافى

هذه القصة لا تخصني.

يمكن لي أن أنكرها، يمكن لي أن أتحدث عن البهرجة الأدبية أو عن سلطة الكذب، عن أخلاقية الأنبياء العالية (أو المعتوهين). بيد أنها لا تخصني.

وأنا أرويها، فإني أخون ثقتها. أتفّه ألمها، أو أفسده.

لن أخرج من ذلك معافى.

Twitter: @ketab_n

# بشير

اعتاد بشير على صوت المدافع الرشاشة، على طيران قذائفها على ارتفاع واطئ وعلى الهزات الأرضية الصغيرة التي تسببها، وحتى على زعيق الأطفال، إلا أنه يقفز خوفا من صرير المفاصل أو حين يزأر محرك سيارة. تجعله انقطاعات التيّار الكهربائي يشعر بطمأنينة أحياناً: كيف سيتم التعرف عليه، من بين كلّ هذه الوجوه المشوّهة؟

استمر بالركض بأقصى سرعة، ولا يزال في الخلف، أخذ على نفسه، كما لو أن الهرب كان مخرجه الوحيد. بقي شقيقه في الخلف، تائها في البعيد. كان وليد دائماً أفضل منه رياضيا، فظن بشير بأنه سينجح بالفرار عبر شوارع الحي وممراته. لم يشاهده وهو يسقط، لم يحضر عملية أسره.

كيف يمكن إنقاذه، حالياً، من هذا المدفن الذي يناسب المقيت مثلما يناسب الغزاة أيضاً؟ بالكاد تجرأ بشير على وضع أنفه في الخارج، غير مهتم بعدم رضا أقربائه.



Twitter: @ketab_n

سمره صرير في مكانه: على العتبة، كان أحدهما يتحدث إلى ظل. قال إن أحداً قد وشى به.

تلفظت إمرأة باسمه بصعوبة. تنفس بشير الصعداء. تركته نسيبته يمر، اكتشفت وجهه الذي عاد ليشع.

ماذا فعلت كي تجديني؟

لقد قادني جنّي إلى خطواتك، انتبهت إلى قول ذلك. وكما في الزمن الماضي، كما زمن قبل أموت، أظهرت له ابتسامتها.



Twitter: @ketab_n

# متشابهان

انتظمت المعارضة أخيراً: بعد عقود من العجز، من الغش والتهديدات، بدا التغيير بأنه لن يتأخر كثيراً. القبضات المرفوعة أشارت إلى الاقتراع الأكثر اقتراباً في تاريخ انتخاباتنا. كنّا كثيرين نخشى أن يكون الحزب الثوري الدستوري يعد حمّام دم ـ وهذا جوهره الكهفي ـ ومع ذلك احتفظنا بالأمل.

تشاركت وآنّا بالحماسة عينها فيما خصّ التجمع المنوي إقامته بعد ظهيرة هذا اليوم: كانت نهاية حملة مرشحنا الانتخابية وكنّا ننتظر دعما كبيراً من المعارضة.

تواعدنا أمام قصر «الفنون الجميلة»، ومن هنا سننطلق للالتحاق بالتظاهرة. قبلتها على فمها ـ قبلة لا مثيل لها ـ ومن ثم ذهبت لإلقاء محاضرتي.

لم تأت آنّا إلى أمام القصر ولم أشهد عملية إقفال الحملة. لم يجعلني ذلك أتكهن بنهاية حميدة. عند عودتي إلى منزلي، وجدت آنّا وقد أصابها الغضب، جفناها منتفخان، قبضتاها مشدودتان، وجنتاها قرمزيتان. لم أستطع التعرف علي عينيها. ولا على شفتيها.



Twitter: @ketab_n

قفزت عليّ. قبضتاها الباردتان اصطدمتا بصدري. أمسكت بها من معصميها وحاولت تهدئتها. لمَ تفعل ذلك بي؟ همست لي، لماذا؟

أحبك ولكني لم أعد أستطيع العيش معك، قلت لها. لا أعرف لماذا، لا أفهم، لا أفهم نفسي، ويقتلني هذا. انتحبت ولم تشعر بأن قبلتي لها بدون معنى.

مارسنا الحب. نمنا لعدة ساعات ونسينا. صبيحة اليوم التالي كنّا لا نزال على حالنا.



Twitter: @ketab_n

# لا يمكن شرحه

ألم لا يمكن شرحه.

إنه ألمها، لا ألمي.



Twitter: @ketab_n

# تأخر

قبل عام، عدت إلى بلدي، بلاد الضباع والأشباح. بالكاد يزعجني الفساد والأكاذيب. اعتاد، بشغف، على اللامبالاة.

بيد أنني لا زلت غريباً بعد.

تبدو السماء أكثر اعتكارا، القاذورات تفيض من على جانبي الأرصفة، وهناك الكثير من الشحاذين والسيارات والتلوث. الأشخاص الذين عرفتهم ماتوا خلال غيابي؛ ولدي صعوبة في إيجاد غيرهم.

اليوم فقط تجرأت بالسؤال عن أخبارها.

دام تأخري خمسة عشرة سنة.



Twitter: @ketab_n

# جنّة

في الجنّة، تسيل أنهار جوفية، وهناك أشجار ذات جذوع عملاقة، والكثير من الفاكهة التي لم يتح لنا الوقت بتذوقها. عصافير تغني كالقيثارات، ينابيع ذات مياه كريستالية، ونور يحيل كلّ شيء إلى ذهب.

قيل لنا إننا طُردنا من هناك. وإن الجنّة، مع ذلك، ملكنا. نرى في كلّ شيء ظلها الملقى ـ على بشرة، في وعد ـ وننهمك، بفزع أو بشره، في البحث عنها.

الجنّة المفقودة. الجنّة التي تنتظرنا. وما بينها وبيننا، هذا الوادي.



Twitter: @ketab_n

# أصدقاء

إزدحام السير، المطر، المسافات؛ حجج مثالية كي لا أبقى مع أصدقائي.

خلال هذه الأشهر الماضية، وقع بابلو ضحية مكيدة ـ الترفيه الوطني ـ وتوجب عليه أن يهرب من الجزارين الذين أقسموا على قتله. أعفي نيكولاس وفيكتور من منصبيهما: اعتبر الأول نفسه أحد الناجين من التيتانيك ولم يتوقف الثاني عن اتهام جيرانه. خافيير فجر نفسه وفقد لورا ومدخراته.

أما أنا فلم أخرج من نفسي أبداً.

بالتأكيد، إنه خطأ الآخرين. خطأ أعدائنا السرمديين. إمّا من جرّاء الصدفة أو الارتجال أو التعب.

أسأل نفسي عمّا إذا كنّا استفدنا بشيء.



Twitter: @ketab_n

# شكوك

قبلتني آنّا على فمي ـ لم أتعرف على نفسها ـ وجلست بالقرب منها. اعتقدت أني شعرت بلطف ما ـ أو ربما بخوف ما ـ في تصرفها. مضى أسبوع لم نضاجع فيه بعضنا البعض.

سألتني عن نهاية الحملة وعن مستقبل اليسار. أزلت شكوكها بحذر، منهمكاً في أن لا أنظر إلى عينها، في أن أنسى خصلة شعرها، بأن لا أنظر إلى خفيّها (اللذين أكرههما).

وضعت ذراعي على ساقها، قبلتها من رقبتها، قائلاً لها إنها جملية جداً.

كانت حركاتها ـ فطنت لذلك في تلك اللحظة ـ أشبه بحركات رقصة ماهرة، ذات إيقاع. غمغمت. كانت تشعر بالغثيان بدون توقف.

عدت إلى منزلها في اليوم التالي وما بعده. تقاسمنا لحظة السلام الضبابية هذه، مبعدين عنا، إلى زاوية، تعبنا (الذي كان كبيراً).


Twitter: @ketab_n

وبينما كنت أعرض لها استراتيجية مرشحنا، عاد الغضب ليعتريها. ومن جديد، عدت لأكون كاذباً، وشخصاً تعساً في نيته أن يتركها دائماً. توجب عليّ أن أراكم مآخذها إلى أن أخذ منها التعب.

غفت مثل طفل.



Twitter: @ketab_n

# جينيه

أذكر فيلما وثائقيا فرنسيا عن الشخصيات المهمة. كان أحدهم يسأل جان جينيه، هذا الملعون. كان يقول ـ أو أعتقد أنه كان يقول ـ إن حياته تغيرت في لحظة، حين أصبح في السبعين من عمره، في قطار، كان ينقله ـ يبدو لي ذلك ـ من باريس إلى منطقة النورماندي.

أمامه، يجلس شخص نحيل، غير محدد العمر. شخص ما. يحدق جينيه به. ما من شيء يميز هذا الرجل عن الركاب الآخرين. انتفض الكاتب. كان هذا الشخص المجهول يرغب في مضاجعته. كانا يرغبان في بعضهما البعض.

هذا ما اكتشفه جينيه، بينما كان مسافرا بالقطار من باريس إلى النورماندي، وهو في السبعين من عمره.



Twitter: @ketab_n

# كره

أكره أن أكون كائنا بشريا.

خطأ. أكره بالكاد أن أكون نفسي.



Twitter: @ketab_n

# كلا

كنت أكره نفسي، في كلّ مرّة لن أستطيع فيها مشاهدتها. ولكي أهرب، أتحجج باجتماعات عمل.

لاحقا، حدثت انتخابات. أصرت آنا أن تعرف كلّ شيء: ما هو عدد الأصوات الناقصة، كم صندوق اقتراع فُقِد، ما هي الإشاعات التي يتمّ تناقلها. دونت ذلك كله، في مفكرة، بدا الأمر كما لو أنها كلّفت بتخمين الأضرار لصالح المراقبين الدوليين.

وذات ما بعد ظهيرة، حطمت لها وقاحة الحكومة الزجاج بقصبة يد. لا زلت أرتجف من مرأى دمها.

تحدثنا في اللقاء الأخير، عن خيبة الناس وغضبهم، عن الدعوة إلى السلاح، عن المفاوضات في الظل، عن الخمول الذي يمكن له أن يكمننا.

لم أعد إلى منزلها مطلقاً.



Twitter: @ketab_n

# عزاء

اقتربت المهلة الأخيرة ولم أكتب بعد أي سطر. الإنسانية، ما هذه الحماقة.

كنت أتلهى بالنظر إلى الصحف اليومية ـ هذا الرعب ذي الجرعات التجانسية ـ، وأتجنب الردّ على اتصالات الأصدقاء والأهل وأسير في هذه المدينة التي يشكل فيها المشي أمراً مستحيلاً.

تعرفت على مكان مشهور وقمت بنصف استدارة. صعدت إلى المترو من دون أن أعرف لا إلى أين اتجه، ولا متى أخرج منه. حدقت بالعابرين الآخرين وما من شيء أيقظ فيّ أي لمعة ولو صغيرة. عدت إلى المنزل من دون أن تحفظ ذاكرتي أي ملمح.

لست محبطاً. أعرف أنه قبل أن أصاب بذلك، سأتحصل على أجساد أخرى وسأسود مئات الصفحات. عزاء قذر.



Twitter: @ketab_n

# وعد

يروى ـ والله وحده هو الأعلم والذي يعرف انحراف مخلوقاته ـ أنه في ذلك اليوم، استطاعت ليلى الالتفاف على مركز التدقيق، على النظرات الغريبة، على الشكوك، لتقف في مدخل السجن، في الساعة المحددة.

بالكاد استطاعت أن تتفوه بكلمة، وتأخر لسانها في تهجئة اسم وليد. رجل «المارينز» المغطى وجهه بحبّ الشباب، بالكاد تطلع إليها. بصوت هادئ، ويكاد يرتجف، أصرت على رؤيته للحال.

أحد مواطنيها، محتال وداهية، ترجم طلبها جاعلا منه عريضة استرحام. قاطعته ليلى معيدة طلبها بلغة الغريب.

تمّ إيقافها في هذا المكان لأكثر من سبع ساعات. أمطروها بالأسئلة. امتحنوا صبرها. تفاجأت بالخوف المزروع في قلب هؤلاء الأطفال.

عند المساء، قادها رجل المارينز إلى غرفة جانبية، وقال لها بلطف: عودي غداً.


Twitter: @ketab_n

أجابت ليلى بأنها لن تتحرك من مكانها قبل أن تعرف أخبار شقيقها.

وقبل أن يبدأ منع التجول، رماها الغزاة في الشارع. شرايين برتقالية تمتد في السماء، والحرارة الآتية من الصحراء هبطت عليها. تأملت المدينة المدمرة ولم تستطع الابتسام حين لفحت آخر شعاع للشمس وجهها.

داعبت ليلي الناي الذي كانت تحتفظ به في حقيبتها كما لو أنه تعويذة.

حينذاك ظهر الجنّي أمامها. تجنب نظرتها ليعلن لها أن الساعة قد حانت. لقد حقق أمانيها، وقادها سالمة غانمة إلى أخيها، وعليها الآن أن تكافئه.

خضعت ليلى.

دمرها الانفجار بثانية ـ ليتمجد اسم الله، سيد العالمين، الرحمن الرحيم ـ لينتهي الألم.

ألم ليلى.

يُروى ـ وهو وحده يعرف عدد الضحايا ـ أن ٢٦ شخصاً آخر لاقوا حتفهم في هذا المساء، من بينهم سبعة أطفال وامرأتان عجوزان، وذلك وفق وكالات الأنباء. تمت مشاهدة وجه ليلى عبر العالم بأسره (بمن فيهم أنا، في غرفتي).

صبيحة اليوم التالي، قتل انتحاري آخر ٣٩ شخصاً.



Twitter: @ketab_n

# اسم

الجحيم من أجل اسم.


Twitter: @ketab_n

# مخرج

تتوقف الشاحنة الصغيرة فجأة، شاحنة زرقاء كوبلت، فسيحة من الداخل، ذات زجاج مصفح.

لون مقدمها رملي، اتسخ قليلاً من جراء مرور كلّ هذه الحافلات ـ تزعج عملية السير تجسسي قليلاً ـ وثمة شجرتان جافتان أو بالأحرى مقصوصتان حديثا، تخفيا النوافذ؟

هبطت من الشاحنة حاملة بيدها كيساً بلاستيكياً، هزت مفاتيحها، ونزلت وراءها طفلة في الثالثة أو الرابعة من عمرها، وتحت إبطها دب من الريش. همست لها آنا بشيء في أذنها فابتسمت.

فتحت الباب ودخلتا معاً إلى المنزل.

مكسيكو ٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨



Twitter: @ketab_n

*Twitter: @ketab_n*

# الحديقة الخَرِبَة هي الجنّة التي وُعِدنا بها

يشكل الروائي المكسيكي خورخي فولبي (مواليد مكسيكو عام ١٩٦٨) طليعة جيل أدبي جديد بدأ يتشكل في السنوات الأخيرة، في القارة الأميركية الجنوبية، وهو تيار ابتعد كثيراً عن مفهوم الواقعية السحرية، التي اجتاحت ذلك الأدب في العقود الأخيرة.

هذه الطليعة الجديدة بدأت عبر تأسيس حركة «كراك» الأدبية، مع نهاية تسعينيات القرن الماضي، وكان من هدفها تجديد الحركة الأدبية المكسيكية الغارقة في نمطيتها. من هنا جاءت رواياته مع روايات زميله إينياسيو باديو لتقطع مع كلّ الكتابات التي انبثقت مع حركة العام ١٩٦٨. نشر العديد من الكتب، وترجمت أعماله إلى الكثير من اللغات.

هُنا مقتطفات من حوار أجرته مجلة «فلوكتويات» الفرنسية مع فولبي، يتحدّث فيه عن روايته التي نترجمها هنا، كما عن عدد من قضايا الكتابة ما يتيح لنا الدخول أكثر في عوالم هذا الكاتب:

*** في كتابك الأخير، تقوم بشبك قصتين مختلفتين جداً: قصة ليلى ـ وهي امرأة عراقية فقدت عائلتها خلال الحرب ـ مع قصة**



Twitter: @ketab_n

**الراوي، شخص مكسيكي يعيش في المنفى، وهي شخصية تشبهك. هل بإمكانك العودة للحديث عن كيفية كتابتك هذه الرواية؟**

بعد أن أنهيت كتابة «ثلاثية القرن العشرين»، والتي استغرقت مني عشر سنوات، ـ كنت أعيش خلالها خارج المكسيك ـ توقفت عن الكتابة لمدة عام. من ثم قررت أن أبحث عن طريقة أخرى أروي من خلالها القصص: كنت أرغب في القيام بشيء آخر، في كتابة كتاب ينتمي بشكل أكبر إلى السيرة الذاتية، شي يحمل ذكريات صغيرة عن عودتي إلى المكسيك. وحين بدأت الكتابة تبين لي أن قصة هذه المرأة الشابة، العراقية، تمتزج مع حكايتي. تذكرت في تلك اللحظة من حياتي التي رأيت فيها صورة امرأة: صورة شابة عراقية قتلت في بغداد خلال الغزو الأميركي، فقررت حينذاك أن أكتب عنها أيضاً. من هنا، يقع كتابي «الحديقة الخَرِبَة» في قلب الألم، ألم الآخرين. وتحولت شخصية ليلى إلى استعارة لهذا الألم البعيد الذي لا يمكن لنا القيام بأي شيء تجاهه، لكننا ننظر إليه كلّ يوم تقريباً، من دون أن نراه حقاً.

*** إلى الجانب من ليلى والألم البعيد الذي تجسده، تضع شخصية آنا، وهي صورة نسائية أخرى، تتعذب بدورها، وإن كان ذلك بشكل مختلف. هل يمكننا القول إن ثمة تراتبية في الألم الذي تعرفه هاتان الشخصيتان؟**


Twitter: @ketab_n

الألم الذي تتعرض له ليلى، وهو ناتج عن التاريخ، يتراءى لنا في الواقع أهم وأعمق بكثير من الألم الحميمي، وهو الألم النمطي الذي يصيب الشابات في المكسيك. كنت أرغب في التفكير حول هذا الأمر: واقع أنه من المستحيل مقاسمة أي شكل من أشكال الألم. حتى وإن كان باستطاعتنا التمييز بين مختلف أشكال الألم، إلا أنني كنت أرغب في أن أظهر أن لكل شخص ألمه الخاص وبأنه لا يمكننا القيام بأي شيء حيال ذلك.

*** تلتقي ليلى، خلال تطور القصة، بجنّي في الصحراء العراقية. هل أن إدخال هذا المخلوق في سياق الأحداث هو رغبة منك في الابتعاد عن الواقعية؟**

إنها المرة الأولى التي أدخل فيها عنصراً خيالياً في رواية من رواياتي ـ أرغب في القيام بأشياء كثيرة لم أكن قمت بها من قبل. حين قررت أن أروي قصة هذه المرأة العراقية التي لم أر سوى وجهها، قررت كتابتها عبر اتباعي قليلاً التقليد الأدبي الذي نعرفه عن تلك المنطقة من العالم. لذلك قرأت «ألف ليلة وليلة» بالطبع، ولكن أيضاً العديد من النصوص التراثية العربية وبخاصة العراقية منها. إزاء ذلك قررت إدخال أسطورة الجنّي هذا والتي هي حاضرة في «ألف ليلة وليلة» كما في الأدب العربي. يمكننا أن نتخيل أن الجنّي غير موجود وأن نقرأ الكتاب قراءة واقعية بشكل مطلق، كذلك يمكننا أن نقرأ النص بطريقة خيالية. من هنا، يبدو الجنّي إما مجرد هذيان وإما شبحَ الحرب.



Twitter: @ketab_n

*** كذلك يدخل الجنّي في النص مفهوم الخير والشر، مفهوم الدين. في أحد فصول الكتاب تكتب ما معناه انه ليس من خطيئة أكبر أكثر من «القيام بشيء ما كي نستحق الجنة»؟**

في «الحديقة الخَرِبَة» لا استعمل مطلقاً كلمة الله. أنا شخص ملحد، كما أقول في الرواية، إلا أنني نشأت في محيط كاثوليكي. إذاً أنا أخوض حربي الخاصة ضد القدسية، غير الموجودة. إحدى خلاصات الكتاب تكمن في أن الدين هو دائماً مصدر البغض والكراهية والحروب. ما كنت أرغب القيام فيه، عبر هذه الجملة، هو أن أظهر تناقض المؤمنين، المستعدين للقيام بأي شيء كي يصلوا إلى الجنة. وأقصد بهذه الجملة الأميركيين ـ بديانتهم الطهرانية ـ كما الحركات الإسلامية.

*** هل يحيلنا العنوان «الحديقة الخَرِبَة» إلى الجنة التوراتية؟**

أجل، هذه الحديقة، هي بجزء منها جنّة عدن والجنّة التي وُعِدَ بها المؤمنون. لكنها أيضاً الحديقة الداخلية لكل واحد منا.

*** تتألف روايتك من فصول قصيرة تقرأ وكأنها مقاطع أو شذرات. لماذا اخترت هذا الشكل؟**

مع «ثلاثية القرن العشرين»، اتبعت فكرة تأليف رواية شاملة، لذلك كانت طريقتي في الكتابة أكثر توسعا. بالنسبة إلى «الحديقة الخَرِبَة» قررت أن أكتب بطريقة معاكسة كلياً: أن أختصر كلّ قصة وكل فصل إلى حده الأدنى. نجم عن ذلك أسلوب غنائي يقترب


Twitter: @ketab_n

بشكل كبير من الشعر. كلّ كلمة، كلّ جملة، تأخذ وزناً خاصاً لا نجده عادة في الرواية الأكثر اتساعاً.

*** يمكن أن نقول أيضاً إن شكل المقاطع في روايتك هذه لا بد له أن يستدعي شكل الكتابة على «المدونة» (الالكترونية). هل شعرت بذلك وأنت تكتب هذه الرواية؟**

نعم. مع هذا الكتاب، رغبت القيام بتجربة ما. بحثت عن طريقة أخرى للكتابة. كانت لدي مدونتي في تلك الفترة. وفي الوقت عينه، قررت أن أكتب هذه الرواية الصغيرة باليد ـ وهي المرة الأولى التي أكتب فيها باليد منذ فترة طويلة، وهذا ما يبدل تركيبة الرواية كثيراً. فيما بعد، كان علي أن أمزج هذه العودة إلى البساطة بشيء أكثر تقنية. خلال مئة يوم، كنت أكتب كلّ يوم فصلاً أنشره فيما بعد على مدونتي. كانت نسخة مختلفة عمّا هي عليه الآن في الكتاب، والتي وجدت على الشبكة. كانت لفصول الكتاب القصيرة، القريبة من الشعر، الإمكانية أيضاً لأن تكون «بطاقات مدونة»، وهي نصوص بقيت قصيرة.

*** منذ الفصول الأولى للرواية، يتحدث الراوي عن المكسيك ليصفها على أنها بلد «بنات آوى والأشباح». ما هي علاقتك الفعلية بالمكسيك، حيث عدت للعيش فيها بعد سنين عدة من الاغتراب؟**

كانت عودتي صعبة إلى المكسيك، مثلما يظهر ذلك في



Twitter: @ketab_n

الرواية. لكني أتحدث بخاصة عن العاصمة. هذه المدينة الضخمة، العملاقة، حيث أسكن حالياً. إنها مدينة صعبة. حين أتحدث عن بنات آوى والأشباح، فأنا أتكلم عندها عن السياسيين. بنات آوى هم الساسة المعاصرون الذين لا يبحثون سوى عن الاغتناء وعن امتلاك سلطة أكبر، من دون أن يفكروا مطلقاً بسعادة العامة. وحين أتكلم عن الأشباح، أكون أتحدث عندها عن هذا النظام القديم: كما تعرفون لقد حكمنا لفترة طويلة من قبل حزب واحد، وذلك لمدة ٧٢ سنة. وحتى إن كنّا بدءا من العام ٢٠٠٠ قد غيرنا النظام وبدأنا بعملية انتقال صعبة نحو الديمقراطية، إلا أن شبح الحزب الذي كان حاكما، السلطوي، لا يزال حاضراً. لم ينجح الحزب الحاكم حالياً بالقيام بكل الإصلاحات كي نشفى من آثار تلك الحقبة. في ثلاثيتي لم أتحدث كثيراً عن المكسيك. لكني هذه المرة، كان من المهم بالنسبة إليّ أن أروي كيف تسير العملية السياسية في المكسيك. إنها فصول صغيرة، تعطي انطباعا فقط، إلا أنني كثير التشاؤم تجاه السياسة المكسيكية.

*** لماذا اخترت العودة إذاً للعيش في المكسيك؟**

عدت لأنهم عرضوا علي منصب إدارة القناة ٢٢، وهي القناة المكسيكية التي تشبه محطة «أرتي». إنها تجربة مدهشة، إذ أن هذه المحطة تمثل الإمكانية الوحيدة في وجود محطة تلفزيونية ذات جودة في المكسيك، حيث أن المحطات التجارية ذات نفوذ كبير،



Twitter: @ketab_n

وذات برامج مرعبة كما هي الحال في العالم بأسره. من المهم جداً للمكسيك أن تتمكن من نشر الثقافة المكسيكية. حتى وإن كانت محطة تلفزيونية صغيرة إلا أن لدينا أحياناً جمهوراً عريضاً. إنه منصب عام أؤمن به. لا أحب العيش كثيراً في مكسيكو العاصمة ولكني أحب كثيراً ما أقوم به. لا أعرف إن كنت سأبقى هناك مطولا. إنها مدينة ضخمة، نضيع فيها الكثير من الوقت. هي مدينة بنيت من أجل السيارات، إذ لا يمكننا أن نتنزه فيها. وذلك عائد إمّا لأن الشوارع فيها طويلة جداً، وإما لأنها طرق غير آمنة. ثمة أشياء لا أحبها بعد أن عشت في مدن أخرى مختلفة عنها بشكل كبير، مدن حيث بإمكاننا أن نحظى بحياة «الحي».

*** كنت أحد مؤسسي حركة «الكراك». عن أي أدب مكسيكي تبحثون في تفعيله؟**

مع هذه الحركة، أعتقد أننا نجحنا في أن نظهر ـ في بلدان مثل إسبانيا وأميركا وفي فرنسا أيضاً ـ بأن الأدب الأميركي ـ اللاتيني لا يختصر فقط بالواقعية السحرية. لقد نجحنا، بمعنى من المعاني، في أن نظهر تنوع الأدب المكسيكي. هناك اليوم روايات خيالية، سياسية، بوليسية... هي المرة الأولى، في التاريخ الأدبي المكسيكي، لا نجد فيها أدبيات نقدية، إكراها نقدياً بضرورة الانتماء إلى مدرسة معينة أو حركة أو تيار... ربما كان هذا التنوع يبدو بالنسبة إلى بعض الجمهور أمراً غريباً إذ أننا ننحو دائماً إلى



Twitter: @ketab_n

البحث عن مكسيكانية ما. المفاجأة تكمن اليوم في أن هذه المكسيكانية يمكن لها أن تكون موجودة في نظرة الكاتب لا في الموضوعات التي يعالجها.


Twitter: @ketab_n

# الفهرس





Twitter: @ketab_n

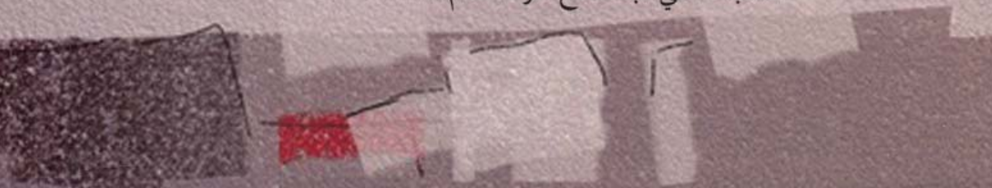
Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

# هذا الكتاب

يشكل الروائي المكسيكي خورخي فولبي (مواليد مكسيكو عام ١٩٦٨) طليعة جيل أدبي جديد بدأ يتشكل في السنوات الأخيرة، في القارة الأميركية الجنوبية، وهو تيار ابتعد كثيراً عن مفهوم الواقعية السحرية، التي اجتاحت ذلك الأدب في العقود الأخيرة.

هذه الطليعة الجديدة بدأت عبر تأسيس حركة «كراك» الأدبية، مع نهاية تسعينيات القرن الماضي، وكان من هدفها تجديد الحركة الأدبية المكسيكية الغارقة في نمطيتها. من هنا جاءت رواياته مع روايات زميله إينياسيو باديو لتقطع مع كلّ الكتابات التي انبثقت مع حركة العام ١٩٦٨.



رسمة الغلاف: فاطمة لوتاه

ISBN 978-9933351397